



العتبة العباسية المقدسة
قلمشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الإعلام

سلسلة المناهل العقائدية للشباب

٤

لمع الحرف

إعداد

د. إحسان الغريفي

مكتبة الإمام الشافعي



العتبة العباسية المقدسة
قلم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الإعلام

وحدة الدراسات والنشر

كربلاء المقدسة

ص.ب (٢٢٢)

هاتف: ٢٢٢٦٠٠٠، داخلي: ١٧٥-١٦٢

www.alkafeel.net
info@alkafeel.net

الكتاب: سلسلة المناهل العقائدية للشباب / معرفة المعاد.

الكاتب: د. احسان الغريفي.

الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة / شعبة

الاعلام / وحدة الدراسات والنشر.

الاخراج الطباعي: محمد قاسم النصراوي.

التصميم: علاء سعيد الأسدي.

التدقيق اللغوي: مصطفى كامل محمود.

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق: ٢٥٤ لعام ٢٠١٣.

المطبعة: دار الضياء - النجف الاشرف ٠٧٨٠١٠٠٠٦٠٣.

الطبعة: الأولى

عدد النسخ: ٢٠٠٠

ربيع الأول ١٤٣٤ - كانون الثاني ٢٠١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ومولانا أبي القاسم محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.

أمّا بعد فالمعاد هو الأصل الخامس من أصول الدين الخمسة التي يجب الإيمان بها إمّا مجملًا لمن لا يتيسر له دراسة مباحثها، وإمّا مفصّلًا كما هو شأن العلماء وطلبة العلم الذين درسوا جميع مباحثها العقلية والنقلية، وقد أوجب أكثر العلماء الإيمان بها مع الدليل، ولم يجزوا التقليد فيها، ولهذا قام قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة وحدة الدراسات والنشرات في شعبة الإعلام بكتابة هذه السلسلة (سلسلة المناهل العقائدية للشباب) إهتمامًا بهذه الشريحة المعطاء. ويعدّ هذا الكرّاس الرابع من هذه السلسلة التي تهتمّ بالشؤون العقائدية لتوعية وتثقيف الشباب المؤمن بأسلوب عصري سهل خالٍ من التعقيد والاسهاب، وتمثّل الهوية الشيعية للشباب المؤمن، فلا غنى

لشبابنا المؤمن من الاطلاع على هذه السلسلة لأهمية وضرورة مباحثها، والمعنيُّ هنا معرفة المعاد الذي يُعدُّ من الأمور التي يصعب تصورها لأنها خارجة عن نطاق المكان والزمان الذي يتقيّد به الإنسان، لذا لم تعتقد الناس في العصر الجاهلي بالبعث، وقد استدلّ القرآن الكريم على إمكانية البعث بأدلة عديدة أُدرجت بعضها في هذا الكرّاس تحت عنوان المعاد الجسماني، ولم يتطرّق هذا الكرّاس للخلافات الواردة في المعاد، والمراد من المعاد أو البعث هنا عودة الروح الى الجسد يوم القيامة وهو من الأمور التي يجب الاعتقاد بها في الإسلام بل في الديانات السماوية أيضاً أي في الديانة اليهودية والنصرانية، ويكفّر من أنكره بإجماع المسلمين.

وقد ضمّ هذا الكرّاس أغلب مباحث المعاد التي لا بدّ لشبابنا المؤمن معرفتها، وذلك من حيث تعريف المعاد، وأسماء المعاد في القرآن الكريم، وضرورة المعاد، وحكم منكري المعاد، ومتى يكون المعاد؟، وعلامات يوم القيامة، ومقدار يوم القيامة، والحساب ومراحله، وحياة البرزخ، وضغطة القبر، وميزان الأعمال، والحساب والسؤال، والشفاعة والكوثر، والصراط، وحساب المعذورين، والأعراف، والجنة، والنار، وهل الجنة والنار مخلوقتان؟، وجنة آدم، والتوبة، وثمرات التوبة، فهذه أغلب المباحث التي تتعلق بالمعاد، ونسأل الله تعالى أن يجعل هذا الجهد

البسيط نافعاً لكلّ مَنْ يَطَّلِعَ عليه منجياً له ولنا مِنْ أهوال يوم القيامة،
ومن عذاب البرزخ، وشافعاً نافعاً يوم المعاد إِنَّهُ مجيب الدعاء.

تعريف المعاد

المَعَادُ فِي اللُّغَةِ :

اسم على وزن «مَفْعَل» مشتق من عاد، ويستعمل اسم زمان أو اسم مكان أو مصدرًا ميميًّا، فإذا قيل: «هذا مَعَادُ زَيْدٍ» فمعناه زمان رجوعه، أو مكان رجوعه، أو رجوعه، وجاء في كتاب لسان العرب: «المَعَادُ: المَصِيرُ والمرْجِعُ... والمَعَادُ كُلُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ المَصِيرُ... والآخرة معاد للناس وأكثر التفسير في قوله ﴿لَرَأَٰدُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾: لباعثك»^(١).

وفي الاصطلاح:

المعاد هو علم باحث عن أمور تتعلق بالحياة الآخرة، والجنة والنار، والصراط والميزان، والثواب والعقاب.

(١) لسان العرب: ٩/ ٤٦٠، [عود].

المعاد الجسماني

لقد وردت في القرآن الكريم شواهد عديدة تبرهن على إمكان رجوع الإنسان إلى الحياة بجسده مرة أخرى ومن هذه الشواهد:

١. قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُجِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١).

فهذه الآية تصف الأرض الجرداء الميتة بعد سقوط المطر عليها يحييها الله تعالى وتعود إلى جماها ورونقها، فالله القادر على إحيائها قادر على إحياء الموتى.

٢. قصة نبي الله عزير الذي مات مئة عام ثم عاد للحياة هو وحمارة وطعامه عاد وكأن السنين لم تمر عليه؛ قال الله تعالى: ﴿أَوَكَلَّيْكَ مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةً عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةً عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ

نُنَشِّرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ، قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ أَطَاعُوا

٣. قصة إبراهيم عليه السلام لما أراد أن يرى كيفية إحياء الموتى، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنَ قَالَ بَلَى وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢﴾

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام: «أن إبراهيم عليه السلام أخذ الهدهد والصرد والطاووس والغراب، فذبحهنَّ وعزل رؤوسهن، ثم نحر أبدانهن في المنحاز^(٣). بريشهن ولحومهن وعظامهن حتى اختلطت، ثم جزأهنَّ عشرة أجزاء على عشرة أجبل، ثم وضع عنده حباً وماء، ثم جعل مناقيرهن بين أصابعه، ثم قال: «آتين سعيًا بإذن الله عز وجل»، فتطاير بعضها إلى بعض اللحوم والريش والعظام حتى استوت الأبدان كما كانت وجاء كل بدن حتى التزق برقبته التي فيها رأسه والمنقار، فخلَّى إبراهيم عن مناقيرهنَّ فوقعن وشربن من ذلك الماء، والتقطن من ذلك

(١) سورة البقرة/ آية: ٢٥٩.

(٢) سورة البقرة/ آية: ٢٦٠.

(٣) أي دقَّ أبدانهن بالهاون.

الحب...»^(١).

٤. قصة إحياء الميت من بني إسرائيل الذي قُتل بشكل غامض، ولم يُعرف القاتل، فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة وبعد أن ذبحوها أمرهم موسى ﷺ أن يضربوا المقتول بقطعة من لحم البقرة فعاد إلى الحياة وأخبرهم بالقاتل؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٢﴾^(٢).

فهذه الآيات برهنت على قدرة الله تعالى على إحياء الموتى بعودة الجسد على الصورة السابقة التي كان عليها، وفي ذلك دلالة واضحة على قدرته تعالى على إعادة الخلق يوم القيامة بكامل تفاصيل أجزائه كما كان في الدنيا؛ قال الله تعالى: ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ (٢) بَلَى قَدَرِينٌ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٢﴾^(٣).

(١) الخصال للشيخ الصدوق: ١/ ٢٦٤-٢٦٥ [باب الأربعة/ قول الله عز

وجل: ﴿فَخَذَ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصَّرَهُنَّ إِلَيْكَ﴾.

(٢) سورة البقرة/ آية: ٧٢، ٧٣.

(٣) سورة القيامة/ آية: ٣، ٤.

أَسْمَاءُ الْمَعَادِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

إِنَّ حَقِيقَةَ الْمَعَادِ تُعَدُّ مِنَ الْحَقَائِقِ الَّتِي تَخْتَصُّ بِالْعَالَمِ الْآخِرِ، أَوْ بِعَالَمٍ مَا وَرَاءَ الطَّبِيعَةِ مِمَّا هُوَ بَعِيدٌ عَنْ أَفْقِ حَوَاسِنَا، وَإِنَّا بِحُكْمِ وَجُودِنَا ضَمَنَ حُدُودِ سَجْنِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، غَيْرَ قَادِرِينَ عَلَى إدْرَاكِ كُنْهِ الْمَعَادِ الْعَمِيقِ لَذَا عَبَّرَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَنِ الْمَعَادِ بِأَسْمَاءٍ كَثِيرَةٍ تَحْمِلُ بَيْنَ طَيَّاتِهَا صَوْرًا تُجَسِّدُ لَنَا مَفْهُومَ الْمَعَادِ بِصُورَةٍ وَاضِحَةٍ لَتَقْرُبَ مَفْهُومَهُ مِنْ أَذْهَانِنَا، وَمِنْ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ ﴿يَوْمَ الْحِسَابِ﴾^(١). الَّذِي يَدُلُّ عَلَى حِسَابِ النَّاسِ، وَمَسَاءَلَتِهِمْ عَلَى عِقَائِدِهِمْ وَأَعْمَالِهِمُ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي الدُّنْيَا.

وَيَصُورُ لَنَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾^(٢). يَوْمًا يُخْشَرُ فِيهِ جَمِيعُ الْبَشَرِ بِأَعْدَادٍ غَفِيرَةٍ مِنْ عَصُورٍ مُخْتَلِفَةٍ وَلُغَاتٍ عَدِيدَةٍ وَأَشْكَالٍ مُخْتَلِفَةٍ وَاعْتِقَادَاتٍ كَثِيرَةٍ فَهُوَ جَمْعٌ لَمْ يَسْبِقْ لَهُ مِثِيلٌ مِنْ حَيْثُ الْكَثَافَةُ وَالتَّعَدُّادُ لِيَفْصَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيُثِيبُ الْمُحْسِنَ وَيُعَاقِبُ الْمُسِيءَ. ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي تَكُونُ السَّمَاءُ فِيهِ عَلَى شَكْلِ أَبْوَابٍ قَدْ

(١) سورة ص/ آية: ١٦.

(٢) سورة المرسلات/ آية: ٣٨.

فتحت، والجبال قد سُيرت؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتَنَا﴾ (١٧)
يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ
الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّغْيِينَ مَتَابًا ﴿٢٢﴾ لَيَبْثِقْنَ
فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً
وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٢٨﴾.

وسُمِّيَ بيوم الجمع لجمع الملائكة والثقلين، وقيل: لأنَّ الله يجمع فيه
جميع الخلائق، وسُمِّيَ بيوم التغابن أيضاً أي يوم يغبن أهل الجنة أهل
النَّارِ؛ قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ (٢٩).

وسُمِّيَ بيوم الدين كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي
خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ (٣٠). أي يَوْمُ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، يوم يُجَارَى كُلُّ
إنسان إزاء دينه ومعتقده.

وسُمِّيَ يوم الآخر؛ قال الله تعالى: ﴿وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْنُوا
فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (٣١). وأمَّا سبب تسميته باليوم الآخر لأنه يوم لا يوم
بعده سواه، وقيل: لأنه بعد أيام الدنيا وأول أيام الآخرة، وقيل: اليوم في
الآخره سمي يوماً لبليته التي قبله فإذا لم يتقدم النهار ليل لم يُسمَّ يوماً،

(١) سورة النبأ / آية: ١٧ - ٢٨.

(٢) سورة التغابن / آية: ٩.

(٣) سورة الشعراء / آية: ٨٢.

(٤) سورة العنكبوت / آية: ٣٦.

فيوم القيامة يوم لا ليل بعده فلذلك سماه اليوم الآخر^(١).
 وَسَمِّيَ يَوْمُ الْخُرُوجِ؛ قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ
 ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾^(٢). أي الخروج من القبور.
 وَسَمِّيَ ﴿يَوْمُ الْبَعْثِ﴾^(٣). لأنه اليوم الذي تثار فيه الناس من
 قبورهم، فيبعث الله فيه خلقه ويحشرهم لموقف الحساب، فيُتَصَفَّ فيه
 للمظلوم من الظالم.

وَسَمِّيَ ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾^(٤). فهو اليوم الذي وعد الله تعالى
 به عباده؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَوْعَةٍ﴾^(٥). وقال أيضاً: ﴿لَا
 يَسْمَعُونَ حَاسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾^(٦) لَا
 يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي
 كُنْتُمْ تُوعَدُونَ^(٦).

وَسَمِّيَ يَوْمُ الْخُلُودِ كما في قوله تعالى: ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمٌ

(١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن للشيخ الطوسي: ١ / ٦٦، [سورة البقرة / آية: ٨].

(٢) سورة ق / آية: ٤٢.

(٣) سورة الروم / آية: ٥٦.

(٤) سورة البروج / آية: ٢.

(٥) سورة المرسلات / آية: ٧.

(٦) سورة الأنبياء / آية: ١٠٢، ١٠٣.

الْخُلُودِ ﴿١﴾.. أي الوقت الذي يبقون فيه في النعيم مؤبدين لا إلى غاية، وهذه الآية تبشّر المؤمنين بالجنة، والخلود.

وَسَمِّيَ ﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ ﴿٢﴾.

وَسَمِّيَ يَوْمَ التَّنَادِ؛ قال الله تعالى: ﴿وَيَقَوْمٌ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ ﴿٣﴾.

وأما سبب تسميته بيوم التلاقي ويوم التنادي فيظهر من الرواية التي رواها الشيخ ابن بابويه في كتابه معاني الاخبار بسنده «عن أبي عبدالله عليه السلام قال: يوم التلاق يوم يلتقي أهل السماء وأهل الأرض ويوم التناد يوم ينادي أهل النار أهل الجنة ﴿أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ ﴿٤﴾...». وقيل: سمي يوم القيامة يوم التناد؛ لأن الكافر ينادي فيه بالويل والثبور والحسرة.

وَسَمِّيَ يَوْمَ الْحُسْرَةِ؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَنذَرُهُمْ يَوْمَ الْحُسْرَةِ﴾ ﴿٥﴾. أي اليوم الذي يتحسر فيه الناس على ما فرطوا فيه من طاعة الله، وعلى ما ارتكبوا من معاصيه في الوقت الذي قضى الامر وحكم بين الخلائق

(١) سورة ق/ آية: ٣٤.

(٢) سورة غافر/ آية: ١٥.

(٣) سورة غافر/ آية: ٣٢.

(٤) سورة الأعراف/ آية: ٥٠.

(٥) سورة مريم/ آية: ٣٩.

بالعدل، ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾^(١).

وأما أكثر أسماء المعاد وروداً في القرآن الكريم فهو «يوم القيامة»، إذ قد ورد لفظ القيامة في القرآن الكريم سبعين مرة كقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾^(٢). وأما سبب تسميته يوم القيامة فقليل: لأنَّ الناس يقومون فيه من قبورهم؛ قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣). ولأنَّ الحساب يقام في ذلك اليوم كما قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾^(٤). ولقيام الأشهاد فيه كما في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾^(٥). ولقيام الرُّوح والملائكة فيه؛ قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾^(٦).

وقد كُنِيَ القرآن الكريم عن المعاد بكنائيات عديدة مثل القارعة قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ

(١) سورة الشورى / آية: ٤٤.

(٢) سورة آل عمران / آية: ١٨٥.

(٣) سورة المطففين / آية: ٦.

(٤) سورة إبراهيم / آية: ٤١.

(٥) سورة غافر / آية: ٥١.

(٦) سورة النبأ / آية: ٣٨.

وَقَالَ صَوَابًا ﴿١﴾. وسميت القارعة، لأنها تقرر قلوب العباد بالمخافة إلى أن يصير المؤمنون إلى الأمن، وإنما حسن أن يوضع القارعة موضع الكنية لتذكر بهذه الصفة الهائلة، وهي قرع قلوب العباد بالمخافة.

و من هذه الكنايات الطائمة الكبرى كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّائِمَةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرْزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾. وسميت طائمة لأنها تطم كل شيء، أي تعلوه وتغلبه. وقيل: هي الصيحة التي يقع معها البعث والحساب والعقاب والثواب.

ومنها الصاخة كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَةُ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ يَقْرَأُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَحْبِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ أُمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُعْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاكِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَفَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجْرَةُ ﴿٤٢﴾. و الصاخة هي القيامة، وقيل: «الصاخة» من (صخ)، وهو الصوت الشديد الذي يكاد أن يأخذ بسمع الإنسان، و هي النفخة الثانية، الصيحة الرهيبة التي تعيد الحياة

(١) سورة القارعة / آية: ١-٥.

(٢) سورة النازعات / آية: ٣٤-٤١.

(٣) سورة عبس / آية: ٣٣-٤٢.

إلى الموجودات بعد موتها جميعاً ليبدأ منها يوم الحشر.

ومنها الواقعة كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۚ لَنُكَلِّفَنَّ لَوَقْعَهَا كَافَّةً ۚ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾^(١). وسميت واقعة لشدة وقعتها بما ليس لغيرها مثل تلك الشدة، وقيل: لأن وقوعها حتمي، واعتبر البعض أنها إحدى أسماء القيامة.

ومنها: الساعة كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾^(٢). وسمي يوم القيامة الساعة لأنها كلمحة البصر، ولم يكن في كلام العرب في المدد أقصر من الساعة، وقيل: الساعة: هي الظرف الذي تقوم فيه القيامة فعلى هذا يكون التعبير مجازياً أي مجاز مرسل علاقته الظرفية.

ومنها لقاء الله كما في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاقَتَهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٣). فهو كناية عن يوم القيامة.

(١) سورة الواقعة/ آية: ١.

(٢) سورة الروم/ آية: ٥٥.

(٣) سورة العنكبوت/ آية: ٥.

ضرورة المعاد

لَمَّا كَلَّفَ اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِتَكَالِيفٍ شَرَّعَهَا لَهُمْ وَجَعَلَ لِمَنْ يَلْتَزِمُ بِهَا أَجْرًا وَثَوَابًا، وَ لِمَنْ لَا يَلْتَزِمُ بِهَا عِقَابًا، وَ ذَلِكَ وَفْقَ قَاعِدَةِ الْعَدْلِ الَّتِي تَقْتَضِي إِثَابَةَ الْمَطِيعِ وَعِقَابَ الْعَاصِي، فَلَوْ لَمْ يَوْجَدْ الْمَعَادُ وَالْجَزَاءُ لَكَانَ التَّكْلِيفُ عَبَثًا وَانْتَفَتِ الْحِكْمَةُ مِنَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، وَلَمْ تَبَقْ ثَمَرَةٌ لِإِرْسَالِ الرُّسُلِ وَ الْأَنْبِيَاءِ، بَلْ لَكَانَ التَّكْلِيفُ ظُلْمًا لِلْمَسَاوَاةِ حَيْثُ بَيْنَ الْمُحْسِنِ وَالْمُسِيءِ، وَ بَيْنَ الْقَاتِلِ وَالْمَقْتُولِ، وَبَيْنَ الظَّالِمِ وَالْمَظْلُومِ، وَ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَشْقِيَاءِ، وَاللَّهُ تَعَالَى مُنَزَّهُ عَنِ الظُّلْمِ وَمُنَزَّهُ عَنِ الْعَبَثِ بَلْ مُنَزَّهُ عَنِ كُلِّ نَقْصٍ وَعَنْ فِعْلِ الْقُبْحِ، فَهُوَ الْكَامِلُ وَلَهُ صِفَاتُ الْكَمَالِ. وَ قَدْ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَنَّهُ حَقٌّ، فَقَالَ: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ انْخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَخَابًا﴾^(١).

(١) سورة النبأ/ آية: ٣٩.

حكم منكري المعاد

المعاد هو أحد ضرورات الدين، ويعدّ كافراً كلّ مَنْ لا يؤمن بالمعاد، وقد وردت آيات عديدة في القرآن الكريم تذكّر وتوعّد كلّ مَنْ ينكر المعاد، منها قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾^(١). وقال المحقق الدواني رحمه الله: «إعلم أنّ المعاد الجسماني مما يجب الاعتقاد به ويكفر منكره»^(٢).

متى يكون المعاد؟

إنّ حلول يوم المعاد يعني فناء الأرض وفناء الحياة عليها، ونهاية العالم، وتبديل هذا النظام بنظام آخر، وقد أخفى الله تعالى ذلك اليوم، فلا يعلم أحدٌ غير الله تعالى بزمن حلول المعاد، وقد سألوا رسول الله ﷺ متى يكون المعاد؟

فأجاب الله تعالى عن هذا السؤال بقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِنُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ

(١) سورة الفرقان/ آية: ١١.

(٢) حق اليقين في معرفة أصول الدين: ٢/ ٣٤٠ [كتاب المعاد/ الفصل الثاني].

لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْتَلُونَكُمْ كَأَنَّكَ خَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾. وقال تعالى: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنْتَ
مِنْ ذِكْرِنَهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَلًا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَّنْ يَخْشَاهَا ﴿٤٥﴾.

(١) سورة الأعراف/ آية: ١٨٧.

(٢) سورة النازعات/ آية: ٤٢ - ٤٥.

علامات يوم القيامة

لقد بيّن القرآن الكريم، بعض علامات يوم القيامة وتسمّى أشراف الساعة، وآيات الله؛ قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَتُهَا تَكُنَّ ءَامَنَةً مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَنِهَا خَيْرًا﴾^(١).

ومن خلال دراسة القرآن الكريم والأحاديث النبوية التي تتحدث عن المعاد يتبيّن أنّ علامات القيامة تنقسم إلى قسمين؛ العلامات الأولى تنبئ عن اقتراب المعاد، وتحقق قبله، والعلامات الثانية هي العلامات المصاحبة لنهاية العالم، وفنائه.

العلامات الأولى

العلامات الأولى تنقسم إلى قسمين؛ علامات تحققت، وعلامات لم تتحقق، فمن العلامات التي تحققت ظهور آخر نبي، وهو نبينا محمد ﷺ لذا «كان رسول الله ﷺ إذا خطب حمد الله وأثنى عليه، ثم... يذكر الساعة وقيامها، حتّى كأنّه منذر جيش يقول: «صبحتكم الساعة، مستكم الساعة» ثم يقول: «بعثت أنا والساعة كهاتين - ويجمع بين

(١) سورة الأنعام/ آية: ١٥٨.

سبأتيه-...»^(١).

وقال الله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾^(٢).

ومن علامات الساعة انشقاق القمر قوله تعالى: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾^(٣). فالآيتان تخبران عن تحقق بعض أشراف الساعة، والمراد من الآية الثانية انشقاق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين، كما وروى الشيخ الطوسي «عن عليّ ؓ قال: انشق القمر بمكة فلتقتين، فقال رسول الله ﷺ: «اشهدوا اشهدوا بهذا»^(٤).

فإن قيل: كيف يمكن أن تكون هذه العلامات من علائم الساعة والزمن الفاصل بينهما ليس بقليل؟

فأجيب عن ذلك بأننا إذا قسمنا ما بقي من عمر الدنيا بالنسبة إلى ما مضى منذ أن خلق الله تعالى السماوات والأرض، لعلم أن ما بقي أقل بكثير مما مضى، فإن الدنيا تجتاز مرحلة النضوج إلى مرحلة الهرم، فيصح عند ذلك جعل البعثة من علائم القيامة.

وأمّا العلامات التي لم تتحقق فيمكن إجمالها في الرواية التي رواها

(١) الأملالي للشيخ الطوسي: ١٢/ ٥٠٣.

(٢) سورة محمد/ آية: ١٨.

(٣) سورة القمر/ آية: ١.

(٤) الأملالي: ١٢/ ٥٠٩ [ح. ٣٧].

الشيخ الصدوق بسنده «عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: كنا جلوساً في المدينة في ظلِّ حائط، قال: وكان رسول الله ﷺ في غرفة فاطمَ علينا، فقال: «فيم أنتم؟»

فقلنا: نتحدث.

قال: «عم ذا؟»

قلنا: عن الساعة.

فقال: «إنكم لا ترون الساعة حتى ترون قبلها عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض^(١)، وثلاثة خسوف في الأرض: خسف بالشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وخروج عيسى بن مريم عليه السلام^(٢)، وخروج يأجوج ومأجوج^(٣)، وتكون

(١) وقد ذكرها الله تعالى في سورة النمل / آية: ٨٢: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾.

(٢) يكون ظهور عيسى عليه السلام بعد ظهور الإمام المهدي عليه السلام، ويصلي عيسى خلف الإمام.

(٣) قال الله تعالى في سورة الأنبياء / آية: ٩٦، ٩٧: ﴿حَقَّ إِذَا فَتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ (١٦) وَأَقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا تَوَلَّوْنَا قَدَّ كُنَّا فِي عَقْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ

في آخر الزمان نار تخرج من اليمن من قعر الأرض لا تدع خلفها أحداً، تسوق الناس إلى المحشر، كلما قاموا قامت لهم تسوقهم إلى المحشر»^(١). وفي رواية أخرى ورد لفظ «الدخان»^(٢) وهو أحد هذه الآيات العشر، وقد ذكر بعض المفسرين أن هذا الدخان ورد ذكره في قوله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ۖ يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٣). أي صيرورة السماء دخاناً.

ومن هذه العلامات خروج الإمام المهدي ﷺ الذي يكون خاتم الأئمة فلا إمام بعده، كما أن رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء فلا نبي بعده.

العلامات الثانية

العلامات الثانية هي العلامات المصاحبة لنهاية العالم، وفنائه، فهناك حوادث تتزامن مع قيام الساعة، وقد أخبر القرآن الكريم بأن لكل شيء عمر محدّد، فالشعوب والأمم لها عمر مُقرّر وبعد هذا العمر تُفنى كما فُتيت الأمم السابقة كالفراعنة والآشوريين والبابليين وغيرهم، وكذلك الأمم المعاصرة لها يوم معيّن ثم تُفنى شأنها شأن الأمم السابقة؛ قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ

(١) الخصال: ٤٤٩/٢ [باب العشرة].

(٢) نفس المصدر السابق: ٤٣١/٢ - ٤٣٢.

(٣) سورة الدخان/ آية: ١٠، ١١.

سَاعَةً وَلَا يَسْقَدُونَ ﴿١﴾. وكذلك حال السموات والأرض، والشمس، والقمر، وجميع المخلوقات لم يكتب لها الخلود، بل لها وقت مُحدد ثم مصيرها الفناء؛ قال الله تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (٢). وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ (٣).

ومعنى «لأجل مسمى»: لمدة معينة قد سميت. وقد أشار الله تعالى إلى هذا الفناء بقوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُنِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾﴾ (٤).

وأشار الله تعالى إلى فناء السماء والكواكب و مسح نظامها بقوله: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ﴾ (٥).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَفِّعُ﴾ (٧) فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا

(١) سورة الأعراف/ آية: ٣٤.

(٢) سورة الأحقاف/ آية: ٣.

(٣) سورة الرعد/ آية: ٢.

(٤) سورة التكويد/ آية: ١ - ١١.

(٥) سورة الأنبياء/ آية: ١٠٤.

السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّفَتْ ﴿٢﴾.

ويشير القرآن الكريم إلى هذه الظواهر المرعبة المخيفة بقوله:
﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبُّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾.

إنَّه حقاً يوم مرعب لأنَّ الإنسان إذا رأى البركان أو الزلزال أو الصاعقة أو الطوفان أو الريح السوداء وغيرها من الظواهر المدمرة يرتجف منها ويرتعد، فكيف به إذا رأى دمار وفناء السموات والأرض! فالنجوم التي كانت تزين السماء وتهدي الإنسان، تنطمس وتنكدر وتندثر، والسماء التي كانت كأثما سقف محفوظ، تنشق وتنطر وتنفرج وتنطوي كطي السجل للكتب، وتمور وتضطرب وتأتي بصورة دخان كأثما وردة كالدهان، وكأنَّ السماء كشطت وأزيلت وتمددت، إلى غير ذلك من الأحوال المتعاقبة التي تطرأ على السماء، وتزلزل الأرض التي كانت مستقرة زلزلاً عظيماً، والجبال التي كانت رواسٍ تُقْلَع وتطَّير كأثما صوف منفوش وتنعدم الجاذبية وتمرُّ مرَّ السحاب ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ

(١) سورة المرسلات/ آية: ٧ - ١٠.

(٢) سورة الحج/ آية: ١، ٢.

وَالْجِبَالُ فَذُكَّنَا ذَكَّةً وَحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١﴾.

فالمؤمن العاقل يتأمل فيما قدمت يده، ويسارع في التوبة ويتدارك ما فرط في حياته حذراً من هول هذا اليوم الذي ينهار فيه النظام السائد ويزول لانتهاه أجله، ويحل محله نظام آخر أكمل منه، فيكون الزوال مقدمة لنظام آخر، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ ﴿٢﴾. فتشرق الأرض بنور الله ليتحول نظامها من الفناء إلى الخلود والبقاء؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَ بِالنَّبِيِّنَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿٣﴾.

الصُّور

يذكر القرآن الكريم أن صوتاً مروراً بسببه يصعق من في السماوات والأرض إلا ما شاء الله، وقد عبّر القرآن بألفاظ عديدة عن هذا الصوت ليقرب صورته في أذهان الناس، فمرة سمّاه النفخ في الصور؛ فقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ

(١) سورة الحاقة/ آية: ١٤ - ١٦.

(٢) سورة إبراهيم/ آية: ٤٨.

(٣) سورة الزمر/ آية: ٦٩.

إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ يُنظَرُونَ ﴿١﴾. والمراد من الصور كما ذكر بعض المفسرين: «البوق»، فهذه الآية تشير إلى نفختين الأولى تؤدِّي لصعق وموت مَنْ في السماوات والأرض ما عدا طائفة خاصة من الناس استثناهم الله تعالى من الصعق عند النفخة الأولى. و أمَّا النفخة الثانية فينفخ في الصور لإحياء الأموات.

وقد عبّر القرآن عن تلك الفختين بالصيحة؛ فقال تعالى: ﴿يُنظَرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ ﴿٢﴾. فهذه الآية تشير إلى النفخة الأولى، و أمَّا النفخة الثانية فأشار الله تعالى إليها بقوله: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ ﴿٣﴾.

كما عبّر القرآن الكريم عن النفخة الثانية بألفاظ آخر كالصَّاحَّة؛ فقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ﴾ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتُهُ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفَرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاكِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾. ﴿٤﴾.

ومعنى «الصَّاحَّةُ» الصيحة التي تصم الآذان.

(١) سورة الزمر/ آية: ٦٨.

(٢) سورة يس/ آية: ٤٩.

(٣) سورة يس/ آية: ٥٣.

(٤) سورة عبس/ آية: ٣٣ - ٤٢.

كما عبر عن النفخة الثانية بالزجرة؛ قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ (١٩) وَقَالُوا يُؤَيَّلْنَا هَذَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١﴾. ومعنى «زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ»: صيحة واحدة.

وعبر عن النفخة الثانية أيضاً بالنقر؛ قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ (٨) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ عَسِيرٌ ﴿٢﴾.

وكلمة ناقور هي في الأصل من نقر، ويعني الدق المؤدّي إلى الإثقاب، ولذلك يطلق اسم الناقور على المزمار الذي يخرق صوته أذن الإنسان وينفذ إلى دماغه.

وأما مقدار الفاصل الزمني بين النفخة الأولى والنفخة الثانية فلا يعلم به أحدٌ إلا الله تعالى.

(١) سورة الصافات/ آية: ١٩، ٢٠.

(٢) سورة المدثر/ آية: ٨، ٩.

مقدار يوم القيامة

لقد تقدّم أن يوم القيامة عبّر عنه القرآن الكريم مرّة بلفظ «يوم»، ومرة بلفظ «ساعة»، فما هو مقدار الزمن الذي يستغرقه هذه اليوم أو هذه الساعة؟

وللجواب على ذلك يقال لقد ذكر القرآن الكريم أن مقدار يوم القيامة يكون خمسين ألف سنة وذلك في قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقَعِ ۖ (١) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ۖ (٢) مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ۖ (٣) تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۖ (٤) فَأَصْبَرَ صَبْرًا جَمِيلًا ۖ (٥) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۖ (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا ۖ (٧) يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَيْلِ ۖ (٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۖ (٩) وَلَا يَسْأَلُ حِمِيمٌ حَمِيمًا ۖ (١٠)﴾.

وروى الشيخ الطوسي بسنده «عن حفص بن غياث، قال قال أبو عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام... «ألا فحاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، فإن للقيامة خمسين موقفاً، كلّ موقف مثل ألف سنة مما تعدون»، ثم تلا

هذه الآية ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾^(١).

وقيل: المعنى أن يوم القيامة يفعل فيه من الأمور ما لو فعل في الدنيا كان مقداره خمسين ألف سنة.

وقال قوم: المعنى إنه من شدته وهو له وعظم العذاب فيه على الكافرين كأنه خمسون ألف سنة.

ويؤكد هذا ما رواه العلامة المجلسي في بحار الأنوار أنه «قيل: يارسول الله ما أطول هذا اليوم؟

فقال: «والذي نفس محمد بيده إنه ليخفف على المؤمن، حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا». وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «لو ولي الحساب غير الله لمكثوا فيه خمسين ألف سنة من قبل أن يفرغوا، والله سبحانه يفرغ من ذلك في ساعة». وعنه عليه السلام أيضاً قال: «لا يتتصف ذلك اليوم حتى يقيل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، وقيل: معناه أن أول نزول الملائكة في الدنيا بأمره ونهيه وقضائه بين الخلائق إلى آخر عروجهم إلى السماء، وهو يوم القيامة هذه المدة، فيكون مقدار الدنيا خمسين ألف سنة، لا يدري كم مضى وكم بقي، وإنما يعلمها الله عز وجل».

(١) الأملاني: ٢/٦٣، و ٤/١٧٩.

الحساب

إِنَّ كُلَّ حَرَكَةٍ أَوْ سَكُونٍ مِنَ حَرَكَاتِ الْإِنْسَانِ أَوْ سَكَنَاتِهِ، وَكُلَّ كَلِمَةٍ يَتَفَوَّهُ بِهَا لَا بَدَّ أَنْ تَنْدَرِجَ تَحْتَ عُنْوَانٍ مِنَ الْعُنَاوِينَ الشَّرْعِيَّةِ الْخَمْسَةِ التَّالِيَةِ، فَلَا تَخْلُو إِمَّا أَنْ تَكُونَ وَاجِبَةً كَالصَّلَاةِ، أَوْ مُسْتَحَبَّةً كَالْبَقَاءِ عَلَى طَهَارَةٍ أَوْ مُحَرَّمَةً كَالغِيَّةِ، أَوْ مَكْرُوهَةً كَالنُّوْمِ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَقَبْلَ شُرُوقِ الشَّمْسِ، أَوْ مُبَاحَةً كَشَرِبِ الْمَاءِ، وَقَدْ وَكَّلَ اللَّهُ تَعَالَى مُلَكِينَ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ يُسَجِّلَانِ أَعْمَالَهُ وَأَقْوَالَهُ، وَقَدْ وَرَدَ ذِكْرُهُمَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوْهُ بِهِ نَفْسَهُ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۝١٦﴾ إِذْ يَنْتَقِلَى الْمَلَائِكَةُ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾.

فهذه الآيات تبين إحاطة علم الله تعالى على ظاهر الإنسان وباطنه، وبالإضافة إلى ذلك «فهنا لك ملكان مأموران بحفظ ما يصدر منه عن يمينه وشماله، وهما معه دائماً ولا ينفصلان عنه لتتم الحجة عليه عن هذا الطريق أكثر، ولتتأكد مسألة الحساب (حساب الأعمال). وكلمة

﴿يَلْقَى﴾ معناها الأخذ والتسلم، و﴿الْمُتَلَقِّانِ﴾ هما ملكان مأموران بثبت أعمال الناس.

وكلمة ﴿قَعِيدٌ﴾ مأخوذة من القعود ومعناها «جالس» والمراد بالقعيد هنا الرقيب والملازم للإنسان، وتعبير آخر أن الآية هذه لا تعني أن الملكين جالسين عن يمين الإنسان وعن شماله، لأن الإنسان يكون في حال السير تارةً، وأخرى في حال الجلوس، بل التعبير هنا هو كناية عن وجودهما مع الإنسان وهما يترصدان أعماله.

ويحتمل أيضاً أنهما قعيدان على كتفي الإنسان الأيمن والأيسر، أو أنهما قعيدان عند نايبه أو ناجذيه دائماً ويسجلان أعماله... ومما يجدر التنويه عليه أنه ورد في الروايات الإسلامية أن ملك اليمين كاتب الحسنات، وملك الشمال كاتب السيئات، وصاحب اليمين أميرٌ على صاحب الشمال، فإذا عمل الإنسان حسنةً كتبها له صاحب اليمين بعشر أمثالها، وإذا عمل سيئةً فأراد صاحب الشمال أن يكتبها قال له صاحب اليمين أمسك فيمسك عنه سبع ساعات، فإذا استغفر الله منها لم يكتب عليه شيء، وإن لم يستغفر الله كتب له سيئة واحدة^(١).

وهكذا تُدَوَّن الأعمال بجميع تفاصيلها وجزئياتها في صحيفة الأعمال، ويوم القيامة، يستلم الإنسان صحيفة عمله بيمينه إذا كان

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٣ / ١٦١ [سورة ق/ الآية ١٦-١٨].

مُحْسِنًا وَيَتَنَاهَا بِشِمَالِهِ إِذَا كَانَ مَسِيئًا؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ (١٨) فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ، بِمِيزَانِهِ، فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُ وَكَتَبْتُ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ حَسَابِيَّةٌ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَلَيْهِ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤) وَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ، بِشِمَالِهِ، فَيَقُولُ يَلْبَسُنِي لَمْ أَوْفَى كِتَابِي (٢٥) وَلَمْ أَذِرْ مَا حَسَابِيَّةٍ (٢٦) يَلْبَسُهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ﴿(١)﴾.

وكذلك ورد ذكر صحيفة أعمال الإنسان الجامعة لكل شيء في قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُنْزِلُنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (٢).

قال الشيخ الصدوق: «ويخرج الله لكل إنسان كتاباً يلقيه منشوراً، ينطق عليه بجميع أعماله، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فيجعله الله حسيب نفسه والحاكم عليها، بأن يقال له: ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (٣) «...» (٤).

(١) سورة الحاقة/ آية: ١٨ - ٢٧.

(٢) سورة الكهف/ آية: ٤٩.

(٣) سورة الإسراء/ آية: ١٤.

(٤) الاعتقادات في دين الإمامية للشيخ الصدوق: ٧٥.

حساب المعذورين

المراد من المعذورين مَنْ لم يتمكّن من معرفة الله وأحكامه لعذر ككونه مات وهو لا يعقل بسبب جنونه أو لأنه أصم أو أبكم أو طفلاً أو نحو ذلك، وقد وردت بعض الأحاديث تفيد أنهم سيمتحنون يوم القيامة من هذه الأحاديث ما رواه الشيخ الكليني بسنده عن «هشام، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سئل عمن مات في الفترة^(١) وعمن لم يدرك الحنث^(٢) والمعته؟ فقال: «يحتج الله عليهم يرفع لهم ناراً فيقول لهم: ادخلوها، فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ومن أبي قال: ها أنتم قد أمرتكم فعصيتُموني»^(٣). وفي حديث آخر أما أطفال المؤمنين فيلحقون بأبائهم وأولاد المشركين يلحقون بأبائهم.

مراحل الحساب

عند استقراء النصوص القرآنية والحديثية يتبيّن لنا أنّ الثواب أو العقاب على أعمال الإنسان وأقواله لا يختصّ بعالم خاص، وإن كان الحساب الفصل هو يوم الفصل والجزاء، فقد ينال الإنسان ثمرة عمله من ثواب أو عقاب في الحياة الدنيا، فيكون الثواب أو العقاب امتداداً

(١) الفترة: ما بين رسولين من رسل الله.

(٢) لم يدرك الحنث: أي لم يصل إلى مرحلة الإدراك والبلوغ.

(٣) الكافي للكليني: ٣/ ٢٤٩ [ح. ٦ - كتاب الجنائز/ باب الأطفال].

إلى ثواب أو عقاب الآخرة، وقد ينال أحدهما في الدنيا أو في الآخرة لذا يمكن إجمال مراحل الحساب في ثلاث مراحل؛ المرحلة الأولى تكون في الدنيا، والثانية في عالم البرزخ، والثالثة يوم القيامة، وفيما يلي تفصيل هذه المراحل:

المرحلة الأولى:

المرحلة الأولى من مراحل الحساب تكون في الدنيا، فإنَّ الله تبارك وتعالى يشيب بعض الصالحين على أعمالهم الحسنة في الدنيا قبل يوم الآخرة؛ كما قال الله تعالى في شأن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ^(١)، وقال أيضاً: ﴿وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ^(٢)، وقال تعالى في شأن من هاجر في سبيل الله: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوءَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآ أَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ^(٣).

فمن هذه الآيات وغيرها يتبين أنَّ مَنْ يخشى الله ويعمل صالحاً ويرجو اليوم الآخر، فإنَّ الله تعالى إمَّا أن يدَّخر له الأجر إلى يوم القيامة أو يُثاب في الدنيا والآخرة، وأنَّ أجر الآخرة أعظم من أجر الدنيا. وأمَّا

(١) سورة العنكبوت/ آية: ٢٧.

(٢) سورة النحل/ آية: ١٢٢.

(٣) سورة النحل/ آية: ٤١.

مَنْ عَبْدَ اللَّهِ تَعَالَى لِأَجْلِ الدُّنْيَا فَإِنَّهُ يُحَرِّمُ مِنْ ثَوَابِ الْآخِرَةِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَمِنْ النَّكَاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ (١). وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ (٢)

وَيُعَجِّلُ اللَّهُ تَعَالَى لِأَخْرِيَنِ الْعِقَابِ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَإِصْرَارِهِمْ عَلَى الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ وَعَدَمِ تَوْبَتِهِمْ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٣). وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَا وَدَّعَهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (٧٣) يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ يُرِيدُونَ أَنِ يَكْفُرُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنَّ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (٤).

وقد يعاقب الله تعالى بعض المؤمنين على ذنوبهم التي ارتكبوها في الدنيا ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا

(١) سورة البقرة/ آية: ٢٠٠.

(٢) سورة الاسراء/ آية: ١٨.

(٣) سورة المائدة/ آية: ٤١.

(٤) سورة التوبة/ آية: ٧٣، ٧٤.

كَسَبَتْ أَيْدِيَكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ^(١). وروى الشيخ الكليني بسنده «عن الفضيل بن يسار، عن أبي جعفر^(ع) قال: «ما من نكبة تصيب العبد إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر»^(٢).

وروى أيضاً بسنده «عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله^(ع) قال: «أما إنه ليس من عرق يضرب ولا نكبة ولا صداع ولا مرض إلا بذنب»؛ وذلك قول الله عز وجل في كتابه: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾^(٣) قال: «وما يعفو الله أكثر مما يؤاخذ به»^(٤).

وروى أيضاً بسنده «عن أبي أسامة عن أبي عبد الله^(ع) قال: سمعته يقول: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ سَطَوَاتِ اللَّهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ»، قال: قلت له: وما سطوات الله؟ قال: «الأخذ على المعاصي»^(٥).

وروى أيضاً بسنده عن «الفضيل بن يسار، عن أبي جعفر^(ع)

(١) سورة الشورى/ آية: ٣٠.

(٢) الكافي: ٢/ ٢٦٩ كتاب الإيمان والكفر/ باب الذنوب/ ح. ٣، و وسائل الشيعة: ١٥/ ٣٠١ ح. ٧-٢٠٥٧١ كتاب الجهاد/ الباب (٤٠) وجوب اجتناب الخطايا والذنوب.

(٣) نفس المصدر السابق: ٢/ ٢٦٩ ح. ٢.

(٤) نفس المصدر السابق: ٢/ ٢٦٩ ح. ٦.

قال: «إن العبد ليذنب الذنب فيزوي عنه الرزق»^(١).

ورى أيضاً بسنده عن «يونس بن يعقوب، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «إن أحدكم ليكثر به الخوف من السلطان وما ذلك إلا بالذنوب، فتوقُّوها ما استطعتم ولا تمادوا فيها»^(٢).

وقد يكون عذاب الدنيا لبعض المؤمنين كفارة لذنوبهم ليفوزوا بالنجاة من العقاب يوم القيامة كما جاء في بعض الروايات، ومنها ما رواه العلامة المجلسي في بحار الأنوار، فقال: «قال عليه السلام: «ما أصاب المؤمن من نصب ولا وصب»^(٣) ولا حزن حتى أهم يهمله إلا كفر الله به عنه من سيئاته».

وجاء في بحار الأنوار أيضاً: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «السقم يمحو الذنوب». وقال عليه السلام: «ساعات الوجع يذهبن ساعات الخطايا». وقال عليه السلام: «ساعات الهموم ساعات الكفارات، ولا يزال الهم بالمؤمن حتى يدعه وماله من ذنب....» وقال عليه السلام: «إذا اشتكى المؤمن أخلصه الله من الذنوب كما يخلص الكير الخبث من الحديد».

وجاء في تفسير العياشي «عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام

(١) الكافي: ٢/ ٢٧٠ ح. ٨.

(٢) نفس المصدر السابق: ٢/ ٢٧٥ ح. ٢٧.

(٣) النصب: بمعنى التعب، والوصب: المرض والوجع.

قال: لما نزلت هذه الآية ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾^(١). قال بعض أصحاب رسول الله ﷺ: ما أشدها من آية، فقال لهم رسول الله ﷺ: «أما تبتلون في أموالكم وأنفسكم وذرائعكم؟» قالوا: بلى قال: «هذا مما يكتب الله لكم به الحسنات ويمحو به السيئات».

هذا وقد يختبر الله تعالى المؤمن في الحياة الدنيا بأنواع من البلايا ولا يُراد منه العقاب كما قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾^(١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ^(١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ^(٢).

وذكر العلامة المجلسي في بحار الأنوار أنه «سئل ﷺ: من أشد الناس بلاء في الدنيا؟ فقال: «النبِيُّونَ، ثُمَّ الْأُمَاثِلُ، فَلَا مِثْلَ، وَيَبْتَلِي الْمُؤْمِنَ عَلَى قَدَرِ إِيْمَانِهِ وَحَسْنِ عَمَلِهِ، فَمَنْ صَحَّ إِيْمَانُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ اشْتَدَّ بِلَاؤُهُ، وَمَنْ سَخِفَ إِيْمَانُهُ وَضَعُفَ عَمَلُهُ قَلَّ بِلَاؤُهُ».

فالحياة الدنيا هي دار الامتحان و لذا نجد أنَّ الأنبياء يمُرُّونَ بمراحل امتحانية صعبة يتعسَّر على أغلب الناس اجتيازها، فمثلاً نرى أنَّ نبيَّ الله إبراهيم عليه السلام حُرِّمَ مِنَ الْأَوْلَادِ حَتَّى صَارَ شَيْخاً

(١) سورة النساء/ آية: ١٢٣.

(٢) سورة البقرة/ آية: ١٥٥ - ١٥٧.

كبيراً، فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
 إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾^(١). ومن المعلوم أنَّ الإنسان يزداد تعلقه بولده
 خصوصاً إذا كان محروماً من الذرية ورزقها على كبر، فيصعب عليه
 مفارقة ولده حينئذ فجاء أمر الله تعالى بترك إسماعيل وهو رضيعاً مع
 أمه في مكة التي كانت صحراء خالية من البشر، فلم يكن منه إلا أن
 دعا الله تعالى قائلاً: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ
 بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ
 وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾^(٢). وبعد أن كبر إسماعيل جاء
 الامتحان الأصعب حيث أمره الله تعالى بذبح ولده، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا
 بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى
 قَالَ يَتَأَبَّاتٍ أَعْمَلُ مَا تَأْمُرُ سَجْدَتِي لِنِ شَاءِ اللَّهِ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾^(٣). فلما اجتاز
 مرحلة الامتحان بنجاح مدحه الله تعالى فقال: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ
 ١٠٣ وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَتْلُ بِرُحْمٍ ١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ
 ١٠٥ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ١٠٧ وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي
 ١٠٨ الْأَخْرِينَ ١٠٨ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ١٠٩ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ١١٠ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا

(١) سورة إبراهيم / آية: ٣٩.

(٢) سورة إبراهيم / آية: ٣٧.

(٣) سورة الصافات / آية: ١٠٢.

الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾.

والامتحان يكون لكل إنسان بقدر علمه وإيمانه لذا كان امتحان الأنبياء والرسل والأئمة عليهم السلام أصعب بكثير من امتحان عوام الناس، فينبغي لنا أن نتأهب للامتحان الإلهي سائلين الله تعالى أن يوفقنا لاجتياز به بنجاح، ويعصمنا من الخطأ والزلل.

المرحلة الثانية:

المرحلة الثانية من مراحل الحساب هي مرحلة عالم البرزخ، والبرزخ في اللغة هو الحاجز بين شيئين، وأطلق على عالم يقع حاجزاً بين حياة الدنيا وحياة الآخرة، وهو الحياة بين الموت والنشور، وهو عالم الأرواح، والروح لا تموت عند انفصالها عن الجسد بعد الموت، فالجسد هو الذي يموت بخلاف الروح فإنها تبقى في عالم البرزخ؛ قال الشهيد الأول: «دَلَّ القرآن العزيز بقوله تعالى: ﴿وَلَا نَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾^(٢). وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(٣). وغير ذلك على بقاء النفس بعد الموت بناء على تجردها [أي من البدن]، وعليه

(١) سورة الصفات/ آية: ١٠٣ - ١١١.

(٢) سورة البقرة/ آية: ١٥٤.

(٣) سورة آل عمران/ آية: ١٦٩.

كثير من الأصحاب ومن المسلمين، أو على تعقلها بأبدان، وهو مروي بأسانيد متكررة من الجانبين [أي الشيعة والسنة]»^(١).

وقد أشار القرآن الكريم إلى عالم البرزخ الغامض بعبارة قصيرة ذات دلالة كبيرة، فقال: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^(٢). كما قد وردت بعض الآيات التي تدلّ على العذاب في عالم البرزخ كقوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾^(٣). فهذه الآية تخبرنا بأن فرعون وملأه يعذبون بعرض النار في عالم البرزخ صباحاً وعصراً، ويوم القيامة يقال للملائكة أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ.

ومن الآيات التي تدلّ على الحياة السعيدة في عالم البرزخ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَبَنَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(٤) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ^(٥) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ وَفْضِلُ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ^(٦). فالقرآن يتحدث عن الشهداء في سبيل الله بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، ولمعرفة نوع هذا

(١) ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة: ٨٩ / ٢.

(٢) سورة المؤمنون / آية: ١٠٠.

(٣) سورة غافر / آية: ٤٦.

(٤) سورة آل عمران / آية: ١٦٩ - ١٧١.

الرزق يقول بعض المفسرين: «أنَّ رزق الشهداء في عالم البرزخ ليس نعمًا مادية، بل هو عبارة عن المواهب المعنوية التي يصعب علينا تصوُّرها في هذه الحياة المادية»^(١). «والمقصود من الحياة في الآيَة هي «الحياة البرزخية» في عالم ما بعد الموت، لا الحياة الجسدية و المادية، وإن لم تختص الحياة البرزخية بالشهداء فلكثير من الناس حياة برزخية أيضاً^(٢). ولكن حيث أنَّ حياة الشهداء من النمط الرفيع جداً، ومن النحو المقرون بأنواع النعم المعنوية، هذا مضافاً إلى أنَّها هي محط البحث والحديث في هذا السياق القرآني لذلك خصُّوا بالذكر وخصَّت حياتهم بالإشارة في هذه الآيَة، دون سواهم ودون غيرها أيضاً. إن حياتهم البرزخية محفوفة بالنعم والمواهب المعنوية العظيمة وكأنَّ حياة الآخرين من البرزخيين بما فيها لا تكاد تكون شيئاً يذكر بالنسبة إليها. ثمَّ إنَّ الآيَة التالية تشير إلى بعض مزايا حياة الشهداء البرزخية، وما يكتنفها ويلازمها من عظيم البركات من خلال الإشارة إلى عظيم إبتهاجهم بها أوتوا هناك

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٦/ ١٨ [سورة هود/ الآيَة ٦].

(٢) ينقسم أصحاب الحياة البرزخية حسبها يذهب إليه بعض المحققين إلى نوعين الصالحون جداً، والطالحون جداً، وقد وردت بعض الروايات المصروفة بذلك ومنها ما رواه الكليني بسنده عن أبي بكر الحضرمي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا يُسأل في القبر إلاَّ من محض الإيمان محضاً، أو محض الكفر محضاً» «فقلت له: فسائر الناس؟ فقال: «يلهي عنهم».

فتقول: ﴿فَرَحِينِ يَمَّا آتَتْهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(١).

حياة البرزخ

لقد ذُكِرَتْ حياة البرزخ صوراً مختلفة «أوضحها أن أرواح البشر بعد ترك هذه الدنيا، تدخل أجساماً لطيفة سامية عن آثار هذه المادة، إلا أنها على شكل أجسامنا، ويقال لكل منها (الجسم المثالي) وهو ليس مجرداً تمام التجريد، ولا هو مادياً محضاً. إنه يمتاز بتجرّد برزخي معيّن، وشبهه بعضهم بما عليه الروح في أثناء ما يراه النائم، إذ تسرّ الروح رؤية النعم، وتعذبها مشاهدة المناظر المؤلمة، ولذلك أثر في جسمنا هذا، إذ نبكي عند رؤية حلم مزعج، ونفزع مذعورين من هول ما نرى، أو نضحك من أعمقنا من طرافة ما نحلم به في نومنا»^(٢). وقد وردت روايات عديدة تفيد أن عالم البرزخ هو عالم القبر^(٣). و أنه أمر عام يشمل جميع أفراد

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢/ ٥٠٠ [سورة آل عمران/ الآية ١٦٩-١٧١].

(٢) نفس المصدر السابق: ٨/ ٥٤٢ [سورة المؤمنون/ الآية ٩٩-١٠٠].

(٣) ومن هذه الروايات ما روي في بحار الأنوار عن الزهري، عن علي بن الحسين عليه السلام، أنه عليه السلام تلا قوله تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، قال: «هو القبر، وأنه لهم فيه لمعيشة ضنكا، والله إن القبر لروضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار». وروى الشيخ الكليني في كتابه الكافي بسنده عن عمرو بن يزيد قال: قلت لابي عبد الله عليه السلام: إني سمعتك وأنت تقول: كل شيعتنا في الجنة على ما كان فيهم؟ قال: «صدقك كلهم والله في

الإنسان دون فرق بين مَنْ مات حتف أنفه أو افترسه السبع أو غرق في الماء، أو تحوّل بدنه إلى رماد أو تراب فأثارته الرياح ونشرته، فكلّ هؤلاء يكونون في عالم البرزخ في سعادة أو شقاء، وإنّ فنيّت أبدانهم لأنّ الذي تسأله الملائكة هو البدن البرزخي، فهو الذي يُعَذَّب أو يكون سعيداً، والبدن البرزخي تحلّ فيه الروح وشكله كشكله في الحياة الدنيا كما ورد في رواية عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام «... فإذا قبضه الله عز وجل صيرّ تلك الرُّوح في قالب كقالبه في الدُّنيا، فيأكلون ويشربون، فإذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا»^(١).

ومن هنا يتّضح أنّ تعلّق النفس بالبدن البرزخي ليس هو من التناسخ بشيء، لأنّ هذا البدن البرزخي ليس بدنّاً آخر، بل هو بتلك الصورة التي كانت في الدنيا ولكن ألطف مما كان عليه في الدُّنيا. والسؤال في القبر والتعذيب والتنعيم من العقائد الإسلامية التي اتّفقت عليها كافّة الفرق الإسلامية.

«قال الصدوق في رسالة العقائد: اعتقادنا في المسألة في القبر أنّها حقّ لا بدّ منها، فمن أجاب بالصواب، فإذا بروح وريحان في قبره،

الجنة»، قال: قلت: جعلت فداك إن الذنوب كثيرة كبار؟ فقال: «أما في القيامة فكلّكم في الجنة بشفاعَةِ النبي المطاع أو وصي النبي ولكني والله أخوف عليكم في البرزخ». قلت: وما البرزخ؟ قال: «القبر منذ حين موته إلى يوم القيامة».

(١) الكافي للكليني: ٣/ ٢٤٥ [كتاب الجنائز/ باب آخر في أرواه المؤمنين/ ح. ٦].

وبجنة نعيم في الآخرة، ومن لم يأت بالصواب فله نزل من حميم في قبره، وتصلية جحيم في الآخرة، وأكثر ما يكون عذاب القبر من النسيمة وسوء الخلق والاستخفاف بالبول، وأشد ما يكون عذاب القبر على المؤمن مثل اختلاج العين أو شرطة حجام، ويكون ذلك كفارة لما بقي عليه من الذنوب التي تكفرها الهموم والغموم والأمراض وشدة النزف عند الموت»^(١).

وقد كشفت الروايات عن عالم القبر وما يجري فيه من سؤال الملكين وهما مبشّر وبشير يسألان المؤمن الصالح، ومنكر ونكير يسألان العبد المذنب، وفي أكثر الاخبار عبر عنهما بمنكر ونكير للمؤمن وغيره. وأمّا الملك رومان فتان القبور فيأتي لكلّ عبد صالح كان أو طالح^(٢).

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ٦ / ٢٧٩.

(٢) لقد ورد ذكر الملك «رُومان فَتَانُ الْقُبُورِ» في الصحيفة السجادية في دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام «في الصلاة على حملة العرش و كلّ ملك مقرب»، وقال السيد محمد الشيرازي في شرح الصحيفة السجادية: «رُومان فَتَانُ الْقُبُورِ هو ملك يأتي إلى القبر قبل منكر ونكير ويأمر الميت بكتابة أعماله ثم يأتي من بعده النكيران كما ورد، وفتان مشتق من الفتنة بمعنى الامتحان، لأنه امتحان لصاحب القبور، فالإضافة إلى القبر مجاز مثل (واسأل القرية)». وقال الشيخ علي النمازي في مستدرك سفينة البحار: «وقد يعبر عنه بالمنبه». وقال العلامة المجلسي في بحار الأنوار: «ولم أر ذكر هذا الملك في أخبارنا المعتبرة سوى هذا

ومن هذه الروايات التي تحدّثت عن عالم القبر ما رواه الشيخ الكليني بسنده عن «سويد بن غفلة قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: إن ابن آدم إذا كان في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة مثل له ماله وولده وعمله، فيلتفت إلى ماله فيقول: والله إني كنت عليك حريصاً شحيحاً^(١) فما لي عندك؟

فيقول: خذ مني كفنك، قال: فيلتفت إلى ولده فيقول: والله إني كنت

الدعاء، وهو مذكور في أخبار المخالفين؛ روى مؤلف كتاب زهرة الرياض عن عبد الله بن سلام أنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن أول ملك يدخل في القبر على الميت قبل منكر ونكير، قال ﷺ: «يا بن سلام يدخل على الميت ملك قبل أن يدخل نكير ومنكر يتلأأ وجهه كالشمس اسمه (رومان) فيدخل على الميت، فيدخل روحه ثم يقعده فيقول له: اكتب ما عملت من حسنة وسيئة. فيقول: بأي شيء أكتب؟ أين قلمي؟ وأين دواتي؟ فيقول: قلمك إصبعك، ومدادك ريقك، اكتب. فيقول: على أي شيء أكتبه و ليس معي صحيفة؟ قال: فيمزق قطعة من كفنه فيقول: اكتب فيها، فيكتب ما عمل في الدنيا من حسنة، فإذا بلغ سيئة استحي منه، فيقول له الملك: يا خاطئ أفلا كنت تستحي من خالقك حيث عملتها في الدنيا والآن تستحي مني؟ فيكتب فيها جميع حسناته وسيئاته، ثم يأمره أن يطويه ويختمه، فيقول: بأي شيء أختمه و ليس معي خاتم؟ فيقول: اختمها بظفرك، ويعلقها في عنقه إلى يوم القيامة» كما قال الله تعالى ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلْعَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾، ثم يدخل بعد ذلك منكر ونكير».

(١) الشح: البخل.

لكم محباً وإني كنت عليكم محامياً فماذا لي عندكم؟

فيقولون: نوذّيك إلى حفرتك نواريك فيها، قال: فإلتفت إلى عمله

فيقول: والله إني كنت فيك لزاهداً وإن كنت عليّ لثقيلاً فماذا عندك؟

فيقول: أنا قرينك في قبرك ويوم نشرك حتّى أعرض أنا وأنت على

ربّك، قال: فإن كان لله وليّاً أناه أطيّب الناس ريحاً وأحسنهم منظراً

وأحسنهم رياشاً^(١). فقال: أبشر بروح وريحان وجنة نعيم ومقدمك خير

مقدم، فيقول له: من أنت؟

فيقول: أنا عمّلك الصالح ارتحل من الدّنيا إلى الجنة، وإنه ليعرف

غاسله ويناشد حامله أن يعجّله فأذا أُدخل قبره أناه ملكا القبر يجرّان

أشعارهما ويخدان الأرض باقداهما، أصواتهما كالرعد القاصف

وأبصارهما كالبرق الخاطف فيقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن

نبيك؟ فيقول: الله ربي وديني الاسلام، ونبيي محمّد ﷺ، فيقولان

له: ثبّتك الله فيما تحبّ وترضى، وهو قول الله عزوجل: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ

الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾^(٢).

ثم يفسحان له في قبره مدّ بصره ثم يفتحان له باباً إلى الجنة، ثم يقولان

له: نم قرير العين، نوم الشاب الناعم، فإن الله عزوجل يقول: ﴿أَصْحَابُ

(١) أحسنهم رياشاً: أي أحسنهم لباساً.

(٢) سورة إبراهيم / آية: ٢٧.

الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿١﴾.

قال: وإن كان لربه عدوًّا فإنه يأتيه أقبح من خلق الله زيا ورؤيا وأنته ريجا فيقول له: أبشر بنزل من حميم وتصلية جحيم^(٢). وإنه ليعرف غاسله ويناشد حملته أن يحبسوه فإذا أدخل القبر أتاه ممتحنا القبر فألقيا عنه أكفانه ثم يقولان له: من ربك وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: لا أدري، فيقولان: لا دريت ولا هديت، فيضربان يافوخه^(٣) بمرزبة معها ضربة ما خلق الله عز وجل من دابة ألا وتدع لها ما خلا الثقلين^(٤) ثم يفتحان له بابا إلى النار، ثم يقولان له: نم بشر حال فيه من الضيق مثل ما فيه القنا من الزجاج^(٥). حتى أن دماغه ليخرج من بين ظفره ولحمه ويسلط الله عليه حيات الارض وعقاربها وهوامها فتنهشه حتى يبعثه الله من قبره وإنه

(١) سورة الفرقان/ آية: ٢٤. مُسْتَقَرًّا: أي مكانًا يستقر فيه، ومقيلًا: من القيلولة وهى عند العرب الاستراحة نصف النهار.

(٢) النزول: ما يعد للضيف النازل على الانسان من الطعام. والشراب والحميم: ما يسقى منه أهل النار. والتصلية: التلويع على النار. وفي مجمع البيان: وتصلية جحيم: ادخال نار عظيم. وقال الله تعالى في سورة الواقعة: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ الضَّالِّينَ﴾ (١٢) ﴿فَنُزِّلْ مِنْ حَمِيمٍ﴾ (١٣) ﴿وَتَصْلِيَةٍ جَحِيمٍ﴾.

(٣) يافوخه: الموضع الذى يتحرك من رأس الطفل إذا كان قريب العهد من الولادة. والمرزبة: عصا كبيرة من حديد تتخذ لتكسير الحجر.

(٤) تدعر أى تفرغ. والثقلين: الجن والانس.

(٥) القنا: بمعنى الرمح، والزج: الحديدية التي في أسفل الرمح.

ليتمنى قيام الساعة فيما هو فيه من الشر»^(١).

ولذا ورد عن المعصومين التعمّد من القبر وأهواله كما روي أنّ الإمام محمد الباقر (عليه السلام) كان يدعو بدعاء له إذا أصبح، وممّا جاء في هذا الدعاء: «... اللهمّ إني أعوذ بك من عذاب القبر ومن ضغطة القبر ومن ضيق القبر...»^(٢). وهناك بعض الأعمال التي تنجّي من عذاب القبر وعذاب النار كما هو مذكور في الروايات والأدعية المأثور عن المعصومين (عليهم السلام)^(٣).

ضغطة القبر

إنّ من العذاب الذي يلاقه الإنسان في عالم البرزخ هو ضغطة القبر، وهي للمؤمن وغيره وقلماً ينجو منها أحدٌ كما صرحت بعض

(١) الكافي للكليني/٣/٢٣١ [كتاب الجنائز/ باب إنّ الميت يمثل له ماله وولده وعمله قبل موته/ ح. ١٠].

(٢) نفس المصدر السابق: ٢/٢٥٥-٢٥٦ [كتاب الدعاء/ باب القول عند الإصباح والإمساء/ ح. ١٣].

(٣) ومن الأعمال التي تحير من عذاب القبر وعذاب النار صلاة الليل كما جاء في بحار الأنوار: «قال الرضا (عليه السلام): «عَلَيْكُمْ بِصَلَاةِ اللَّيْلِ، فَمَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ يَقُومُ آخِرَ اللَّيْلِ فَيُصَلِّي ثَمَانِ رَكَعَاتٍ وَرَكَعَتِي الشَّفْعِ وَرَكَعَةَ الْوُتْرِ، وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ فِي قُنُوتِهِ سَبْعِينَ مَرَّةً إِلَّا أُجِيرَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمُدَّ لَهُ فِي عُمْرِهِ، وَوُسِّعَ عَلَيْهِ فِي مَعِيشَتِهِ. ثُمَّ قَالَ (عليه السلام): «إِنَّ الْبَيُوتَ الَّتِي يُصَلِّي فِيهَا بِاللَّيْلِ يَزْهَرُ نُورُهَا لِأَهْلِ السَّمَاءِ كَمَا يَزْهَرُ نُورُ الْكَوَاكِبِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ».

الروايات بذلك؛ فقد روى الكليني بسنده «عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أيفلت من ضغطة القبر أحد؟ قال: فقال: «نعوذ بالله منها ما أقل من يفلت من ضغطة القبر، إن رقية^(١) لما قتلها عثمان وقف رسول الله ﷺ على قبرها فرفع رأسه إلى السماء، فدمعت عيناه وقال للناس: إني ذكرت هذه وما لقيت فرقت لها واستوهبتها من ضمة القبر. قال: فقال: اللهم هب لي رقية من ضمة القبر، فوهبها الله له.

قال: وإن رسول الله ﷺ خرج في جنازة سعد^(٢). وقد شيعه سبعون

(١) رقية: اختلفوا فيها؛ فقليل: هي بنت رسول الله ﷺ، وقيل: ربيته فهي ابنة هالة أخت خديجة، وتزوجها عثمان بن عفان.

(٢) سعد: هو سعد بن معاذ مات إثر غزوة الخندق، من الرمية التي أصابته، وذلك سنة أربع. جاء في بحار الأنوار: «عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إني رسول الله ﷺ فقيل له: «إن سعد بن معاذ قد مات، فقام رسول الله ﷺ وقام أصحابه معه، فأمر بغسل سعد وهو قائم على عضادة الباب، فلما أن حنط وكفن وحمل على سريره تبعه رسول الله ﷺ بلا حذاء ولا رداء، ثم كان يأخذ يمنية السرير مرة ويسرة السرير مرة حتى انتهى به إلى القبر، فنزل رسول الله ﷺ حتى لحده وسوى اللبن عليه، وجعل يقول: ناولوني حجراً، ناولوني تراباً رطباً، يسد به ما بين اللبن، فلما أن فرغ وحثا التراب عليه وسوى قبره قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم أنه سيئلي ويصل البلى إليه، ولكن الله يحب عبداً إذا عمل عملاً أحكمه»، فلما أن سوى التربة عليه قالت ام سعد: يا سعد هنيئاً لك الجنة، فقال رسول الله ﷺ: «يا أم سعد مه، لا تجزمي على ربك فإن سعداً قد أصابته ضمة [أي ضغطة]» قال: فرجع رسول الله ﷺ ورجع الناس

ألف ملك فرفع رسول الله ﷺ رأسه إلى السماء ثم قال: مثل سعد يضم». قال: قلت: جعلت فداك إنا نحدث أنه كان يستخف بالبول، فقال: معاذ الله إنما كان من زعارة^(١) في خلقه على أهله.

قال: فقالت أم سعد: هنيئاً لك يا سعد.

قال: فقال لها رسول الله ﷺ: «يا أم سعد لا تُحْتَمِي^(٢) على الله»^(٣). وقد يفهم من بعض الروايات أن ضغطة القبر عامة تشمل من دفن في القبر ومن لم يدفن، ومن هذه الأحاديث ما رواه الكليني بسنده: «عن يونس قال: سألت عن المصلوب يعذب عذاب القبر؟ قال: فقال: «نعم إن الله عز وجل يأمر الهواء أن يضغطه».

وفي رواية أخرى سئل أبو عبد الله عليه السلام عن المصلوب يصيبه عذاب القبر فقال: «إن رب الأرض هو ربُّ الهواء فيوحي الله عز وجل إلى

فقالوا له: يارسول الله لقد رأيناك صنعت على سعد ما لم تصنعه على أحد، إنك تبعت جنازته بلا رداء ولا حذاء، فقال ﷺ: إن الملائكة كانت بلا رداء ولا حذاء فتأسيت بها، قالوا: وكنْتَ تأخذ يمينَ السرير مرة، ويسرة السرير مرة، قال: «كانت يدي في يد جبرئيل آخذ حيث يأخذ»، قالوا: أمرت بغسله وصليت على جنازته ولحدته في قبره ثم قلت: إن سعداً قد أصابته ضمة! قال: فقال ﷺ: «نعم إنه كان في خلقه مع أهله سوء».

(١) الزعارة: شراسة الخلق أي سوء الخلق.

(٢) لا تُحْتَمِي: أي لا توجبي.

(٣) الكافي للكليني: ٣/ ٢٣٦ [كتاب الجنائز/ باب المسألة في القبر/ ح ٦٠].

الهواء فيضغطه ضغطة أشد من ضغطة القبر»^(١).

و الظاهر أنَّ ضغطة القبر تكون للمؤمن وللکافر، فهي للکافر عذاب، وللمؤمن كفارة له عن سيئاته كما روى العلامة المجلسي في بحار الأنوار «...عن النوفلي، عن السكوني، عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «ضغطة القبر للمؤمن كفارة لما كان منه من تضييع النعم».

المرحلة الثالثة :

المرحلة الثالثة من مراحل الحساب هي يوم القيامة، فإنَّ الله تعالى يحيي جميع الموتى للحساب، وهو على منازل ومراحل نذكرها كما يلي:

١- ميزان الأعمال :

إنَّ الله تبارك وتعالى ينصب ميزاناً يوم القيامة فتوزن به أعمال العباد الحسنات والسيئات، وأشار القرآن الكريم إلى هذا الميزان بقوله: ﴿وَنُضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾^(٢). وقوله تعالى: ﴿وَالْوِزْنُ يُوَمَّزُ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٣) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا

(١) الكافي للكليني ٣/ ٢٤١ كتاب الجنائز/ باب المسألة في القبر/ ح. ١٧، ١٦.

(٢) سورة الأنبياء/ آية: ٤٧.

يَعَايِدُنَا يَظْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾. وقوله تعالى ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾. وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ (١٠٤). (٣)

وقد اختلف العلماء في حقيقة هذا الميزان وكيفية الوزن، فذهب جماعة منهم إلى أن الميزان كناية عن العدل والقضاء، وقيل: «الموازين» جمع «ميزان» وهو وسيلة للقياس... إنَّ الميزان لا يعني ما نعرفه في هذه الدنيا لوزن المواد، إنَّ الميزان في هذه الآية يعني وسيلة ملائمة لقياس قيمة أعمال الإنسان، أي: للميزان مفهوم واسع يشمل جميع وسائل القياس. وكما ورد في الأحاديث المختلفة أنَّه ميزان تقاس به الأعمال والناس، وهم قادة الإسلام الكبار، في الحديث: «إنَّ أمير المؤمنين والأئمة من ذريته هم الموازين». وعلى هذا فإنَّ الرُّسل وأوصياءهم هم الذين يقاس الناس وأعمالهم بهم، ليتبيَّن إلى أي درجة يشبهونهم. وبهذا

(١) سورة الأعراف/ آية: ٨، ٩.

(٢) سورة المؤمنون/ آية: ١٠٢ - ١٠٤.

(٣) سورة القارعة/ آية: ٦ - ١١.

يتميّز الناس ثقلهم من خفيفهم، وثمانهم من تافهم، وعالمهم من جاهلهم»^(١).

ومهما كان فإن أمر وزن الأعمال ليس من الأمور التي يصعب تصورها، وفهم كنه حقيقتها خصوصاً إذا عرفنا أن التقدم العلمي توصل إلى قياس بعض الأوزان التي لانشر بها كمعرفة وزن الضوء ووزن الصوت، فما المانع من إمكانية وزن الأعمال؟!

٢- الحساب والسؤال :

المنزل الآخر من منازل يوم القيامة هو الحساب، «قال الشيخ المفيد رحمه الله: الحساب هو المقابلة بين الأعمال والجزاء عليها والمواقفة للعبد على ما فرط منه، والتوبيخ على سيئاته، والحمد على حسناته، ومعاملته في ذلك باستحقاقه»^(٢).

فهو حساب دقيق لسيرة الإنسان وسلوكه، وروى الشيخ الصدوق بسنده عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا كان يوم القيامة يدعى بالعبد، فأول شيء يسأل عنه: الصلاة، فإذا جاء بها تامة وإلا زجَّ به في النار»^(٣).

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل للشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ٨/ ٥٤٥ - ٥٤٦ [سورة المؤمنون/ الآية ١٠١-١٠٤].

(٢) تصحيح اعتقادات الإمامية للشيخ المفيد: ١١٤.

(٣) عيون أخبار الرضا: ٢/ ٣٥ [باب- ٣١/ ح. ٤٥].

وروى الشيخ الطوسي بسنده أن رسول الله ﷺ قال: «لا نزول قدم عبد مؤمن يوم القيامة من بين يدي الله عز وجل حتى يسأله عن أربع خصال: عمرك فيما أفنيته، وجسدك فيما أبليت، ومالك من أين اكتسبته وأين وضعته، وعن حبنا أهل البيت». فقال رجل من القوم: وما علامة حبكم يا رسول الله؟ فقال: «محبة هذا»، ووضع يده على رأس علي بن أبي طالب^(١).

ويمكن تقسيم حساب الناس يوم القيامة بحسب الآيات القرآنية، والأحاديث إلى أربعة أصناف.

الصنف الأول: يحاسبون حساباً شديداً كما قال الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾^(٢). وقال تعالى: ﴿وَكُلِّينَ مِنْ قَرْبَةٍ عَنَّتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَبْنَهَا عَذَابًا ثَقِيلًا﴾^(٣).

والصنف الثاني: يحاسبون حساباً يسيراً كما صرح به قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۖ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾^(٤).

(١) الأمل للشيخ الطوسي: ٥/ ٢٠٠ [ح. ٦].

(٢) سورة الرعد/ آية: ١٨.

(٣) سورة الطلاق/ آية: ٨.

وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١﴾.

والصنف الثالث: يدخلون الجنة بغير حساب كما جاء في رواية الشيخ الطوسي بسنده عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، عن آبائه، عن رسول الله ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة جمع الله الخلائق في صعيد واحد، وينادي مناد من عند الله، يسمع آخرهم كما يسمع أولهم، يقول أين أهل الصبر فيقوم عنق من الناس، فتستقبلهم زمرة من الملائكة فيقولون لهم ما كان صبركم هذا الذي صبرتم فيقولون صبرنا أنفسنا على طاعة الله، و صبرناها عن معصية الله. قال: فينادي مناد من عند الله صدق عبادي، خلوا سبيلهم ليدخلوا الجنة بغير حساب. قال: ثم ينادي مناد آخر، يسمع آخرهم كما يسمع أولهم، فيقول: أين أهل الفضل. فيقوم عنق من الناس، فتستقبلهم زمرة من الملائكة، فيقولون ما فضلكم هذا الذي نوديتم به فيقولون كنا يجهل علينا في الدنيا فنحنتمل و يساء إلينا فنعفو. قال فينادي مناد من عند الله تعالى صدق عبادي، خلوا سبيلهم ليدخلوا الجنة بغير حساب. قال ثم ينادي مناد من عند الله عز و جل، يسمع آخرهم كما يسمع أولهم، فيقول أين جيران الله جل جلاله في داره فيقوم عنق من الناس، فتستقبلهم زمرة من الملائكة، فيقولون لهم ماذا كان عملكم في دار الدنيا فصرتم به اليوم جيران الله تعالى في داره

فيقولون كنا نتحاب في الله عز وجل. و نتبازل في الله، و نتوازر في الله. فينادي مناد من عند الله صدق عبادي خلوا سبيلهم لينطلقوا إلى جوار الله في الجنة بغير حساب. قال فينطلقون إلى الجنة بغير حساب». ثم قال أبو جعفر عليه السلام «فهؤلاء جيران الله في داره، يخاف الناس ولا يخافون، و يحاسب الناس ولا يحاسبون»^(١).

والصنف الرابع: يدخلون النار بغير حساب كما جاء في رواية الشيخ الصدوق عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَحَاسِبُ كُلَّ خَلْقٍ إِلَّا مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّهُ لَا يَحَاسِبُ وَيُؤْمَرُ بِهِ إِلَى النَّارِ»^(٢).

قال الشيخ الصدوق في باب الاعتقاد في الحساب والميزان: «اعتقادنا فيهما أنها حق منه ما يتولاه الله تعالى، ومنه ما يتولاه حججه»^(٣). فحساب الأنبياء والرسل والأئمة عليهم السلام يتولاه الله عز وجل، ويتولى كل نبي حساب أوصيائه، ويتولى الأوصياء حساب الأمم. والله تعالى هو الشهيد على الأنبياء والرسل، وهم الشهداء على الأوصياء، والأئمة

(١) الأملاني للطوسي: ٤/ ١٦٦-١٦٧ [ح. ١٢].

(٢) عيون أخبار الرضا: ٢/ ٣٧ [باب- ٣١/ ح. ٦٦].

(٣) قال السيد عبد الله شبر في كتابه حق اليقين في معرفة أصول الدين: «روى العامة والخاصة بطرق عديدة في تفسير قوله تعالى: ﴿لَقِيَافِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ إِنَّ الْخُطَّابَ لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَعَلِيٍّ عليه السلام».

شهداء على الناس، وذلك قوله عز وجل: ﴿لَنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾^(١). وقوله عز وجل: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾^(٢). والله تعالى يخاطب عباده من الأولين والآخرين بمجمل حساب عملهم مخاطبة واحدة، يسمع منها كل واحد قضيته دون غيرها، ويظن أنه المخاطب دون غيره، ولا تشغله تعالى مخاطبة عن مخاطبة، ويفرغ من حساب الأولين والآخرين في مقدار ساعة من ساعات الدنيا»^(٣).

٣- انطاق الجوارح

لما تُعَرَّضُ صحيفة الأعمال في موقف من مواقف يوم القيامة ينكر بعض المجرمين ما سجّل في صحيفة أعمالهم، وربّما يحلفون بأنهم لم يفعلوا ذلك فعندئذ يختم الله تبارك وتعالى على أفواههم، وتشهد أيديهم وأرجلهم وجميع جوارحهم بما اقترفوه، قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٤). فيشهد السمع بما سمع مما حرّم الله، ويشهد البصر بما نظر به إلى ما حرّم

(١) سورة البقرة/ آية: ١٤٣.

(٢) سورة النساء/ آية: ٤١.

(٣) الاعتقادات في دين الإمامية للشيخ الصدوق: ٧٣- ٧٤.

(٤) سورة يس/ آية: ٦٥.

الله، وتشهد اليدان بما أخذتا، وتشهد الرجلان بما سعتا مما حرم الله، ويشهد الفرج بما ارتكب مما حرم الله، ثم ينطق الله ألسنتهم فيقولون لجلودهم ﴿وَقَالُوا لِيُجْلِدُوهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾.

٤- تجسّم الأعمال

إنَّ ما يفعله الإنسان من الأعمال صالحاً كان أو طالحاً سيُجسّم في الحياة الآخروية، وقد ذكر القرآن الكريم أنَّ ما اكتسبه الإنسان من خير أو شر يجده أمامه يوم القيامة فيُجزى به كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴿٢﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوزِنُنَا مَا لِهَذَا أَلْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٣﴾﴾.

(١) سورة فصلت/ آية: ٢١، ٢٢.

(٢) سورة آل عمران/ آية: ٣٠.

(٣) سورة الكهف/ آية: ٤٩.

ومما يدل على أن تجسيد الأعمال أمرٌ حقيقي وليس اعتبارياً هو أن المكتنز للذهب والفضة المانع من إخراج الحقوق الشرعية و الأنفاق في سبيل الله سوف يذوق ألم اكتنازه بالذهب والفضة المحميين في نار جهنم فتكوى بها جباه المكتنزين وجلودهم وظهورهم كما هو ظاهر من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣٤﴾ يَوْمَ يُخْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُوهُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿١﴾.

٥- الشفاعة والكوثر

«اتفق العلماء على ثبوت الشفاعة للنبي ﷺ ويدل عليه قوله تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ (٢). قيل: إنه الشفاعة» (٣). وقال الشيخ الصدوق: «اعتقادنا في الشفاعة أنها لمن ارتضى الله دينه من أهل الكبائر والصغائر، فأما التائبون من الذنوب فغير محتاجين إلى الشفاعة. وقال النبي ﷺ: «من لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي». وقال ﷺ: «لا شفيع أنجح من التوبة». والشفاعة للأنبياء والأوصياء

(١) سورة التوبة/ آية: ٣٤، ٣٥.

(٢) سورة الإسراء/ آية: ٧٩.

(٣) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد للعلامة الحلي: ٢٧٩.

والمؤمنين والملائكة. وفي المؤمنين مَنْ يشفع في مثل ربعة ومضر، وأقل المؤمنين شفاعاً مَنْ يشفع لثلاثين إنساناً. والشفاعة لا تكون لأهل الشك والشرك، ولأهل الكفر والجحود، بل تكون للمذنبين من أهل التوحيد»^(١).

روى الشيخ الصدوق بسنده «عن محمد بن أبي عمير، قال: سمعت موسى بن جعفر عليه السلام يقول: «لا يخلد الله في النار إلا أهل الكفر والجحود وأهل الضلال والشرك، ومن اجتنب الكبائر من المؤمنين لم يسأل عن الصغائر»، قال الله تبارك و تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾^(٢). قال: فقلت له: يا ابن رسول الله فالشفاعة لمن تجب من المذنبين؟

قال: حدثني أبي، عن آبائه، عن علي عليه السلام قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي، فأما المحسنون منهم فما عليهم من سبيل». قال ابن أبي عمير: فقلت له: يا ابن رسول الله فكيف تكون الشفاعاة لأهل الكبائر والله تعالى ذكره يقول: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ ومن يرتكب الكبائر لا يكون مرتضى، فقال: يا أبا أحمد ما من مؤمن يرتكب ذنباً إلا ساءه ذلك وندم

(١) الاعتقادات في دين الإمامية للشيخ الصدوق: ٦٦.

(٢) سورة النساء/ آية: ٣١.

عليه، وقد قال النبي ﷺ: «كفى بالندم توبة»، وقال ﷺ: «مَنْ سَرَّتْهُ حسنته وساءتة سيئة فهو مؤمن»، فمن لم يندم على ذنب يرتكبه فليس بمؤمن ولم تجب له الشفاعة وكان ظالماً، والله تعالى ذكره يقول: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾^(١). فقلت له: يا ابن رسول الله وكيف لا يكون مؤمناً مَنْ لم يندم على ذنب يرتكبه؟ فقال: يا أبا أحمد ما من أحد يرتكب كبيرة من المعاصي وهو يعلم أنه سيعاقب عليها إلا ندم على ما ارتكب ومتى ندم كان تائباً مستحقاً للشفاعة، ومتى لم يندم عليها كان مصرّاً والمصرُّ لا يغفر له لأنَّه غير مؤمن بعقوبة ما ارتكب ولو كان مؤمناً بالعقوبة لندم، وقد قال النبي ﷺ: «لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار»، وأما قول الله عز وجل: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾^(٢). فإنهم لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله دينه، والدين الإقرار بالجزاء على الحسنات والسيئات، فمن ارتضى الله دينه ندم على ما ارتكبه من الذنوب لمعرفة بعاقبته في القيامة»^(٣).

ولقد خُصَّ نبينا محمد ﷺ بحوض الكوثر؛ قال الشيخ الصدوق: «اعتقادنا في الحوض أنه حق، وأن عرضه ما بين ايلة

(١) سورة غافر/ آية: ١٨.

(٢) سورة الأنبياء/ آية: ٢٨.

(٣) التوحيد للصدوق: ٤٤٥-٤٤٦ ح. ٦- باب الأمر والنهي والوعيد والوعيد.

وصنعاء، وهو حوض النبي ﷺ، وأن فيه من الأباريق عدد نجوم السماء وأن الوالي عليه يوم القيامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، يسقي منه أوليائه، ويدود عنه أعداءه، ومن شرب منه شربة لم يظماً بعدها أبداً^(١).

أوصاف من يستحق الشفاعة

تقدّم أن الشفاعة تكون لمن ارتضى الله تعالى دينه ولكنه ارتكب بعض المعاصي والذنوب، والمقصود بمن ارتضى الله دينه هم الشيعة، ومن المناسب معرفة أوصاف الشيعة لتسنّى معرفة أوصاف من يستحق الشفاعة، فالمحبّة لأهل البيت ﷺ غير كافية في الإنتساب إليهم كما صرحت بذلك أقوالهم ﷺ، فمن تلك الأقوال ما رواه الكليني بسنده «عن جابر، عن أبي جعفر ﷺ قال: قال لي: «يا جابر أيكثفي من ينتحل التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت، فوالله ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه، وما كانوا يُعرفون يا جابر إلا بالتواضع والتخشع والأمانة وكثرة ذكر الله والصّوم والصّلاة والبرّ بالوالدين، والتعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام، وصدق الحديث وتلاوة القرآن، وكفّ الألسن عن الناس إلا من خير وكانوا أمناء عشائريهم في الأشياء».

(١) الاعتقادات في دين الإمامية للشيخ الصدوق: ٦٥.

قال جابر: فقلت: يا ابن رسول الله ما نعرف اليوم أحداً بهذه الصفة، فقال: «يا جابر لا تذهبن بك المذاهب حَسْبُ الرَّجُلِ أَنْ يَقُولَ: أَحَبُّ عَلِيًّا وَأَتَوَلَاهُ ثُمَّ لَا يَكُونُ مَعَ ذَلِكَ فَعَالًا؟ فُلُوْ قَالَ: إِنِّي أَحَبُّ رَسُولِ اللَّهِ فَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْرٌ مِنْ عَلِيٍّ ؓ»، ثُمَّ لَا يَتَّبِعُ سِيرَتَهُ وَلَا يَعْمَلُ بِسُنَّتِهِ مَا نَفَعَهُ حَبَّةُ إِيَّاهُ شَيْئًا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْمَلُوا مَا عِنْدَ اللَّهِ، لَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ قَرَابَةٌ، أَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَأَكْرَمُهُمْ عَلَيْهِ أَتْقَاهُمْ وَأَعْمَلُهُمْ بِطَاعَتِهِ، يَا جَابِرُ وَاللَّهِ مَا يَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَّا بِالطَّاعَةِ وَمَا مَعْنَى بَرَاءَةٍ مِنَ النَّارِ وَلَا عَلَى اللَّهِ لِأَحَدٍ مِنْ حُجَّةٍ، مَنْ كَانَ لِلَّهِ مُطِيعًا فَهُوَ لَنَا وَلِيُّيٌّ، وَمَنْ كَانَ لِلَّهِ عَاصِيًا فَهُوَ لَنَا عَدُوٌّ، وَمَا تَنَالُ وَلَا يَتَنَا إِلَّا بِالْعَمَلِ وَالْوَرَعِ»^(١).

٦- الصراط

«وَأَمَّا الصِّرَاطُ فَقَدْ قِيلَ: إِنَّ فِي الْآخِرَةِ طَرِيقَيْنِ: إِحْدَاهُمَا إِلَى الْجَنَّةِ يَهْدِي اللَّهُ تَعَالَى أَهْلَ الْجَنَّةِ إِلَيْهِ، وَالْأُخْرَى إِلَى النَّارِ يَهْدِي اللَّهُ تَعَالَى أَهْلَ النَّارِ إِلَيْهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ﴾^(٢). وَقَالَ فِي أَهْلِ النَّارِ: ﴿فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ الْجَحِيمِ﴾^(٣).

(١) الكافي للكليني: ٢ / ٧٤ [ج. ٢- كتاب الإيمان والكفر/ باب الطاعة والتقوى].

(٢) سورة محمد/ آية: ٥، ٦.

(٣) سورة الصافات/ آية: ٢٣.

وقيل: إنَّ هناك طريقاً واحداً على جهنَّم يكلف الجميع المرور عليه، ويكون أدقُّ من الشعر، وأحدُّ من السيف، فأهل الجنة يمرون عليه لا يلحقهم خوف ولا غم والكفار يمرون عليه عقوبة لهم وزيادة في خوفهم فإذا بلغ كل واحد إلى مستقره من النار سقط من ذلك الصراط»^(١).

وقال «قوم إنَّه طريق أهل الجنة والنَّار، وإنَّه يتسع لأهل الجنة، ويتسهَّل لهم سلوكه ويضيق على أهل النَّار ويشق عليهم سلوكه»^(٢).

قال الشيخ الصدوق: «اعتقادنا في الصراط أنه حق، وأنه جسر جهنم، وأن عليه ممر جميع الخلق. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾»^(٣). والصراط في وجه آخر اسم حجج الله، فمن عرفهم في الدنيا وأطاعهم أعطاه الله جوازاً على الصراط الذي هو جسر جهنم يوم القيامة. وقال النبي ﷺ لعليّ: «يا علي إذا كان يوم القيامة أقعد أنا وأنت وجبرئيل على الصراط، فلا يجوز على الصراط إلا من كانت معه براءة بولايتك»^(٤).

(١) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد للعلامة الحلي: ٢٩٨.

(٢) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد للشيخ الطوسي: ٢٢٢.

(٣) سورة مريم/ آية: ٧١.

(٤) الاعتقادات في دين الإمامية للشيخ الصدوق: ٧٠.

٧-الأعراف

وهو مكان ليس من الجنة ولا من النار، ولقد ورد في القرآن الكريم ذكر الأعراف، فقال تعالى: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا سِيمَنَهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَنِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهْتُولَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾^(١). واختلفوا في المراد من الأعراف وأصحاب الأعراف؛ قال الشيخ المفيد: «قد قيل إن الأعراف جبل بين الجنة والنار، وقيل أيضا: إنه سور بين الجنة والنار. وجملة الأمر في ذلك: أنه مكان ليس من الجنة ولا من النار. وقد جاء الخبر بها ذكرناه، وأنه إذا كان يوم القيامة كان به رسول الله وأمير المؤمنين والأئمة من ذريته ﷺ وهم الذين عني الله سبحانه بقوله: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا سِيمَنَهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ وذلك أن الله تعالى يعلمهم أصحاب الجنة وأصحاب النار بسيماء يجعلها عليهم - وهي العلامات - وقد بين ذلك في قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا سِيمَنَهُمْ﴾ و ﴿يُعَرِّفُ الْمُجْرِمُونَ سِيمَهُمْ﴾ وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَلَمَّا لَبِثَ لَمَّسِيْلٌ مُّقِيمٌ ﴿٧٦﴾، فأخبر أن في خلقه طائفة يتوسمون الخلق فيعرفونهم بسيماهم. وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في بعض كلامه: «أنا صاحب العصا والميسم». يعني: علمه بمن يعلم حاله بالتوسم. وروي عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ قال: «فينا نزلت أهل البيت» يعني: في الأئمة عليهم السلام. وقد جاء الحديث بأن الله تعالى يسكن الأعراف طائفة من الخلق لم يستحقوا بأعمالهم الجنة على الثبات من غير عقاب، ولا استحقوا الخلود في النار وهم المرجون لأمر الله، ولهم الشفاعة، ولا يزالون على الأعراف حتى يؤذن لهم في دخول الجنة بشفاعة النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين والأئمة من بعده عليهم السلام. وقيل أيضاً: إنه مسكن طوائف لم يكونوا في الأرض مكلفين فيستحقون بأعمالهم جنة ونارا، فيسكنهم الله ذلك المكان ويعوضهم على آلامهم في الدنيا بنعيم لا يبلغون به منازل أهل الثواب المستحقين له بالأعمال. وكل ما ذكرناه جائز في العقول. وقد وردت به أخبار - والله أعلم بالحقيقة من ذلك - إلا أن المقطوع به في جملة أن الأعراف مكان بين الجنة والنار يقف فيه من سميناه من حجج الله تعالى على خلقه، ويكون به يوم القيامة قوم من المرجين لأمر الله، وما بعد ذلك فالله أعلم بالحال فيه»^(١).

(١) تصحيح اعتقادات الإمامية: ١٠٦ - ١٠٧.

الجنة

لقد وصف القرآن الكريم الجنة بأنها دار الخلود والنعيم الأبدي، ووصفتها الأحاديث بأنَّ فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فلا موت فيها، ولا هرم، ولا سقم ولا مرض، ولا آفة، ولا زوال، ولا غم، ولا هم، ولا حاجة، ولا فقر، وأنها دار الغنى، والسعادة، ودار المقامة والكرامة، ولا يمَسُّ أهلها فيها نصب، ولا يمسُّهم فيها لغوب لهم فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، وهم فيها خالدون. وأنها دار أهلها جيران الله، وأولياؤه، وأحباؤه، وأهل كرامته، وأهل الجنة أنواع على مراتب كما ذكر الشيخ المفيد: «فمنهم: مَنْ أخلص لله تعالى، فذلك الذي يدخلها على أمان من عذاب الله تعالى. ومنهم: مَنْ خلط عمله بالأصلح بأعماله السيئة كأن يسوّف منها التوبة، فاخترته المنية قبل ذلك، فلحقه خوف من العقاب في عاجله وآجله، أو في عاجله دون آجله، ثُمَّ سكن الجنة بعد عفو الله أو عقابه. ومنهم: مَنْ يتفصّل عليه بغير عمل سلف منه في الدنيا، وهم الولدان المخلدون الذين جعل الله تعالى تصرفهم لحوائج أهل الجنة ثواباً للعاملين،

وليس في تصرفهم مشاق عليهم ولا كلفة، لأنهم مطبوعون إذ ذاك على المسار بتصرفهم في حوائج المؤمنين. وثواب أهل الجنة الالتذاذ بالمأكل والمشارب والمناظر والمناكح وما تدركه حواسهم مما يطبعون على الميل إليه، ويدركون مرادهم بالظفر به وليس في الجنة من البشر من يلتذ بغير مأكل ومشرب وما تدركه الحواس من المذوذات. وقول من يزعم: أن في الجنة بشراً يلتذ بالتسبيح والتقديس من دون الأكل والشرب، قول شاذ عن دين الاسلام، وهو مأخوذ من مذهب النصارى الذين زعموا أن المطيعين في الدنيا يصيرون في الجنة ملائكة لا يطعمون ولا يشربون ولا ينكحون... وكتاب الله تعالى شاهد بضد ذلك والاجماع على خلافه...»^(١).

وقال الشيخ الصدوق: «اعتقادنا أنه لا يخرج أحد من الدنيا حتى يرى مكانه من الجنة أو من النار، وأن المؤمن لا يخرج من الدنيا حتى ترفع له الدنيا كأحسن ما رآها ويرى مكانه في الآخرة، ثم يجير فيختار الآخرة، فحينئذ تقبض روحه... وما من أحد يدخل الجنة حتى يعرض عليه مكانه من النار، فيقال له: هذا مكانك الذي لو عصيت الله لكنت فيه. وما من أحد يدخل النار حتى يعرض عليه مكانه من الجنة، فيقال له: هذا مكانك الذي لو أطعت الله لكنت فيه. فيورث هؤلاء مكان

(١) تصحيح اعتقادات الإمامية للشيخ المفيد: ١١٨.

هؤلاء، وهؤلاء مكان هؤلاء وذلك قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ
 الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١). وأقل المؤمنين منزلة
 في الجنة مَنْ له مثل مُلك الدنيا عشر مرات^(٢).

(١) سورة المؤمنون/ آية: ١٠، ١١.

(٢) الاعتقادات في دين الإمامية: ٧٩-٨١.

النار

قال الشيخ الصدوق: «اعتقادنا في النار أنها دار الهوان، ودار الانتقام من أهل الكفر والعصيان، ولا يخلد فيها إلا أهل الكفر والشرك، وأما المذنبون من أهل التوحيد، فإنهم يخرجون منها بالرحمة التي تدركهم، والشفاعة التي تنالهم. وروي أنه لا يصيب أحداً من أهل التوحيد ألم في النار إذا دخلوها، وإنما تصيبهم الآلام عند الخروج منها، فتكون تلك الآلام جزاء بما كسبت أيديهم، وما الله بظلام للعبيد. وأهل النار هم المساكين حقاً، ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾^(١). و﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾^(٢) إِلَّا حِمِيمًا وَعَسَاقًا^(٣). وإن استطعموا أطعموا من الزقوم، وإن استغاثوا ﴿يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَأَلْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾^(٤). و يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾^(٥). ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا

(١) سورة فاطر/ آية: ٣٦.

(٢) سورة النبأ/ آية: ٢٤، ٢٥.

(٣) سورة الكهف/ آية: ٢٩.

(٤) سورة فاطر/ آية: ٣٧.

فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١﴾. فيمسك الجواب عنهم أحياناً، ثم قيل لهم: ﴿قَالَ أَخْسُوا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُونِ﴾ ﴿٢﴾. ﴿وَنَادُوا بِمَلِكِكَ لِيَقْضَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ﴾ ﴿٣﴾. وروى أنه «يأمر الله تعالى برجال إلى النار، فيقول للمالك: قل للنار لا تحرقي لهم أقداماً، فقد كانوا يمشون بها إلى المساجد، ولا تحرقي لهم أيدياً، فقد كانوا يرفعونها إليّ بالدعاء، ولا تحرقي لهم ألسنة، فقد كانوا يكثرون تلاوة القرآن. ولا تحرقي لهم وجوها، فقد كانوا يسبغون الوضوء، فيقول مالك: يا أشقياء، فما كان حالكم؟ فيقولون: كنا نعمل لغير الله، فقليل لهم: خذوا ثوابكم ممن عملتم» ﴿٤﴾.

وقال الشيخ المفيد: «وأما النار، فهي دار من جهل الله سبحانه، وقد يدخلها بعض من عرفه بمعصية الله تعالى، غير أنه لا يخلد فيها، بل يخرج منها إلى النعيم المقيم، وليس يخلد فيها إلا الكافرون» ﴿٥﴾. ولا ينجو من النار ولا يدخل الجنة أحدٌ بعمله إلا برحمة الله تعالى.

(١) سورة المؤمنون/ آية: ١٠٧.

(٢) سورة المؤمنون/ آية: ١٠٨.

(٣) سورة الزخرف/ آية: ٧٧.

(٤) الاعتقادات في دين الإمامية: ٧٧ - ٧٩.

(٥) تصحيح اعتقادات الإمامية للشيخ المفيد: ١١٨.

هل الجنة والنار مخلوقتان؟

لقد وردت بعض الآيات القرآنية التي تصرّح بخلق الجنة كما في قوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١). كما وردت بعض الآيات التي تصرّح بخلق النار كقوله تعالى: ﴿وَأَنفُؤا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾^(٢). فقولُه ﴿أُعِدَّتْ﴾ يدلّ على وجودهما حقيقة؛ قال الشيخ الصدوق: «واعتقادنا في الجنة والنار أنها مخلوقتان، وأن النبي ﷺ قد دخل الجنة، ورأى النار حين عرج به»^(٣).

جنة آدم

يذكر القرآن الكريم أنّ الله تعالى أسكن آدم الجنة بعد أن خلقه كما في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٤) فَأَزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْنَعٌ إِلَىٰ حِينٍ^(٥). فهل جنة آدم ﷺ، هي نفس الجنة التي وعد بها المتقون؟

(١) سورة آل عمران/ آية: ١٣٣.

(٢) سورة آل عمران آية: ١٣١.

(٣) الاعتقادات في دين الإمامية: ٧٩.

(٤) سورة البقرة/ آية: ٣٥، ٣٦.

وللجواب على ذلك يقال: إِنَّ الجنة التي مكث فيها آدم قبل هبوطه إلى الأرض، لم تكن الجنة التي وُعد بها المتقون، بل كانت من جنان الدنيا، وبقعة منعمة خلابة من بقاع الأرض، واستدل بعض المفسرين على ذلك بأدلة عدة:

أولاً: الجنة الموعودة في القيامة نعمة خالدة، والقرآن ذكر مراراً خلودها، فلا يمكن إذن الخروج منها.
ثانياً: إبليس الملعون ليس له طريق للجنة، وليس لو سوسته مكان هناك.

ثالثاً: وردت عن أهل البيت عليهم السلام روايات تصرّح بذلك؛ منها ما روي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه سئل عن جنة آدم، فقال: «جَنَّةٌ مِنْ جَنَّاتِ الدُّنْيَا، تَطْلُعُ فِيهَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، وَلَوْ كَانَ مِنْ جَنَّاتِ الْآخِرَةِ مَا خَرَجَ مِنْهَا أَبَدًا»^(١).

قال الشيخ الصدوق: «وأما جنة آدم، فهي جنة من جنان الدنيا، تطلع الشمس فيها وتغيب، وليست بجنة الخلد، ولو كانت جنة الخلد ما خرج منها أبداً»^(٢). من هذا يتضح أن هبوط آدم ونزوله إلى الأرض لم يكن مكانياً بل مقامياً. أي أنه هبط من مكانته السامية ومن تلك الجنة.

(١) الكافي للكليني: ٣/ ٢٤٧ [ح. ٢، كتاب الجنائز/ باب جنة الدنيا].

(٢) الاعتقادات في دين الإمامية: ٧٩-٨٠.

ومن المحتمل أيضاً أن تكون هذه الجنة غير الخالدة في إحدى الكواكب السماوية، وفي بعض الروايات الإسلامية إشارة إلى أن هذه الجنة في السماء، غير أنّ من الممكن أن يكون المقصود بالسماء في هذه الروايات «المقام الرفيع» لا «المكان المرتفع».

على كل حال، توجد شواهد كثيرة على أن هذه الجنة هي غير جنة الخلد الموعودة لأنّ جنة آدم بداية مسير الإنسان وجنة الخلد نهايتها. وهذه مقدمة لأعمال الإنسان ومراحل حياته، وتلك نتيجة أعمال الإنسان ومسيرته.

التوبة

قال العلامة الحلي: «التوبة هي الندم على المعصية لكونها معصية والعزم على ترك المعادة في المستقبل لأنَّ ترك العزم يكشف عن نفي الندم، وهي واجبة بالإجماع»^(١).

ولا ينبغي تأخيرها أو تركها، فإنَّ من رحمة الله الواسعة ونعمه المتواصلة مغفرته لذنوب عباده إذا تابوا وندموا على فعلهم المعاصي، ففتح الله تعالى باب التوبة لعباده، وقد نهى عن اليأس من رحمته، فلا ييأس من رحمة الله إلا الجاهل الذي لا يعرف الله حق معرفته؛ قال الله تعالى: ﴿لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٢). فلا ينبغي للمذنب أن يستعظم ذنبه ولا يطرق باب التوبة لأنَّ الله تعالى وعد مغفرة جميع الذنوب، فقال: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٣). وقال تعالى: ﴿وَهُوَ

(١) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: ٢٨٢.

(٢) سورة يوسف/ آية: ٨٧.

(٣) سورة الزمر/ آية: ٥٣.

الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعُلُونَ ﴿١﴾ .
وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (٢).

وقد أشار القرآن الكريم إلى أن قبول التوبة يكون إذا سارع المذنب بالتوبة وكان جاهلاً لا يعلم بأن ما عمله يعدُّ ذنباً، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (١٧) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَقًّا إِذَا حَضَرَ أَحَدُهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارًا أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٣).

وروي «عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «يا محمد بن مسلم ذنوب المؤمن إذا تاب منها مغفورة له فليعمل المؤمن لما يستأنف بعد التوبة والمغفرة، أما والله إنها ليست إلا لاهل الايمان» قلت: فإن عاد بعد التوبة والاستغفار من الذنوب وعاد في التوبة؟! فقال: «يا محمد بن مسلم أترى العبد المؤمن يندم على ذنبه ويستغفر منه ويتوب ثم لا يقبل الله توبته»؟ قلت: فإنه فعل ذلك مراراً، يذنب ثم يتوب ويستغفر [الله]،

(١) سورة الشورى / آية: ٢٥.

(٢) سورة النساء / آية: ٤٨.

(٣) سورة النساء / آية: ١٧، ١٨.

فقال: «كَلِمًا عاد المؤمن بالاستغفار والتوبة عاد الله عليه بالمغفرة وإن الله غفور رحيم، يقبل التوبة ويعفو عن السيئات، فإياك أن تقنط المؤمنين من رحمة الله»^(١).

وللتوبة شروط فمن شروط التوبة أنه يجب على التائب أمران الأمر الأول أن يندم على الذنب لقبح الذنب، والأمر الثاني أن يعزم على ترك المعادة إليه، إذ لولا ذلك انتفت التوبة، لأن الذي يتوب عن المعصية لغرض سلامة بدنه أو سلامة سمعته عند الناس أو خوفاً من عقاب النار دون أن يندم على الذنب لقبح الذنب فلا تصح توبته لأنها ليست توبة عن القبيح لقبحه^(٢).

و ذكرت شروط التوبة بصورة مجملة في كلام أمير المؤمنين عليه السلام،

(١) الكافي للكليني: ٢/ ٤٣٤ [كتاب الإيمان والكفر/ باب التوبة/ ح. ٦].

(٢) قال العلامة الحلي في كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: «يجب على التائب أن يندم على القبيح لقبحه وأن يعزم على ترك المعادة إليه، إذ لولا ذلك انتفت التوبة، كمن يتوب عن المعصية حفظاً لسلامة بدنه أو لعرضه بحيث لا ينثلم عند الناس، فإن مثل هذا لا يعدّ توبة لانتفاء الندم فيه. وأما التائب خوفاً من النار فإن كان الخوف من النار هو الغاية في توبته بمعنى أنه لولا خوف النار لم يتب فكذلك، أي لا يصح منه التوبة لأنها ليست توبة عن القبيح لقبحه، فجرى مجرى طالب سلامة البدن، وإن لم يكن هو الغاية بأن يندم عليه لأنه قبيح وفيه عقاب النار ولولا القبح لما ندم عليه وإن كان فيه خوف النار صحت توبته».

وذلك أن قائلاً قال بحضرته ﷺ «أستغفر الله»، فقال له أمير المؤمنين ﷺ: «ثَكَلَتْكَ أُمُّكَ أ تَذِرِي مَا الْإِسْتِغْفَارُ؟ الْإِسْتِغْفَارُ دَرَجَةٌ الْعَالِيَيْنَ وَهُوَ اسْمٌ وَقَعَ عَلَى سِتَّةٍ مَعَانٍ أَوَّلُهَا النَّدَمُ عَلَى مَا مَضَى، وَالثَّانِي الْعَزْمُ عَلَى تَرْكِ الْعُودِ إِلَيْهِ أَبَدًا، وَالثَّالِثُ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ حُقُوقَهُمْ حَتَّى تَلْقَى اللَّهَ أَمَلَسَ لَيْسَ عَلَيْكَ تَبِعَةٌ، وَالرَّابِعُ أَنْ تَعْمِدَ إِلَى كُلِّ فَرِيضَةٍ عَلَيْكَ ضَيَعَتْهَا فَتُؤَدِّيَ حَقَّهَا وَالخَامِسُ أَنْ تَعْمِدَ إِلَى اللَّحْمِ الَّذِي نَبَتْ عَلَى السُّحْتِ فَتُذِيْبُهُ بِالْأَحْزَانِ حَتَّى تُلْصِقَ الْجِلْدَ بِالْعَظْمِ وَيَنْشَأَ بَيْنَهُمَا لَحْمٌ جَدِيدٌ السَّادِسُ أَنْ تُذِيقَ الْجِسْمَ أَلْمَ الطَّاعَةِ كَمَا أَذَقْتَهُ حَلَاوَةَ الْمُعْصِيَةِ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَقُولُ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ»^(١).

ثمرة التوبة

للتوبة فوائد عديدة تعود على العبد التائب من هذه الفوائد أن الله تعالى يفرح بتوبته، و يغفر الله تعالى ذنوبه، أو يُبَدِّلُ سَيِّئَاتِهِ حَسَنَاتٍ بشرط أن تكون توبته صحيحة نصوحة؛ فقد روى الشيخ الكليني بسنده «عن أبي عبد الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل يفرح بتوبة عبده المؤمن إذا تاب كما يفرح أحدكم بضالته إذا وجدها»^(٢).

و قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٠/٤٠٣ [الجزء العشرون].

(٢) الكافي: ٢/٤٣٦، ح. ١٣ - كتاب الإيمان والكفر/ باب التوبة.

النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا
 (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْمَكَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيُخْلَدُ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ
 وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ
 اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (١).

وروى الشيخ الكليني بسنده «عن معاوية بن وهب قال: سمعت
 أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إذا تاب العبد توبة نصوحاً أحبه الله فستر عليه»،
 فقلت: وكيف يستر عليه؟ قال: «ينسي ملكيه ما كانا يكتبان عليه ويوحى
 [الله] إلى جوارحه وإلى بقاع الأرض أن اكتمي عليه ذنوبه فيلقى الله
 عز وجل حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب» (٢).

(١) سورة الفرقان/ آية: ٦٨ - ٧٠.

(٢) الكافي: ٢/ ٤٣٦، [ح. ١٢٠ - كتاب الإيمان والكفر/ باب التوبة].

الختمة

لقد ذُكِرَ في هذا الكرّاس أغلب المباحث الّتي تتعلّق بمعرفة المعاد بصورة مجملّة وميسّرة تغني القارئ الكريم عن الرجوع إلى المصادر المفصّلة والمطوّلة، والهدف من ذلك هو إيصال المعلومة الصحيحة بعبارة موجزة و أسلوب سهل، وقد ذُكِرتْ أسماء أغلب المصادر الّتي اعتمدَ عليها في كتابة هذا الكرّاس، نسأل الله تعالى أن ينفع المؤمنين بهذا الجهد القليل ولا يحرمنا من الأجر والثواب إنّه سميع مجيب، و الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّدنا ونبينا محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين.

المراجع

القرآن الكريم.

نهج البلاغة لأَمير المؤمنين (عليه السلام).

مناهج اليقين في أصول الدين: للعلامة الحلي أبي منصور الحسن بن يوسف بن المطهر المتوفى ٧٢٦هـ، تحقيق: يعقوب الجعفري، دار الأسوة للطباعة والنشر، إيران، ط. الأولى؛ ١٤١٥هـ.

كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد للعلامة الحلي المتوفى سنة: ٧٢٦هـ، قدّم له وعلّق عليه: الشيخ جعفر السبحاني، مؤسسة الامام الصادق، قم، ط. الثانية؛ ١٣٨٢هـ.

ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة: للشهيد الأول المتوفى (سنة ٧٨٦هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، مطبعة: ستاره، قم، ط. الأولى؛ ١٤١٩هـ.

حق اليقين في معرفة أصول الدين: للسيد علي شبر المتوفى سنة ١٢٤٢هـ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان، ط. الأولى؛ ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

الاعتقادات في دين الإمامية: للشيخ الصدوق المتوفى سنة ٣٨١هـ، تحقيق: عصام عبد السيد، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط. الثانية؛ ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

بحار الأنوار، تأليف: العلامة المجلسي، تحقيق: يحيى العبادي، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية؛ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد: للشيخ محمد بن الحسن الطوسي، المتوفى سنة ٤٦٠هـ، دار الأضواء، بيروت - لبنان، ط. الثانية؛ ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

التوحيد، تأليف: الشيخ الصدوق، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان، ط. الأولى؛ ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

تصحيح اعتقادات الإمامية للشيخ المفيد المتوفى سنة ٤١٣هـ، تحقيق: حسين درگاهي، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط. الثانية؛ ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

عيون أخبار الرضا: للشيخ الصدوق المتوفى سنة ٣٨١هـ، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان، ط. الثانية؛ ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

لسان العرب لابن منظور المتوفى سنة ٧١١هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط. الثالثة.

الخصال للشيخ الصدوق، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة الأعلمي، بيروت-لبنان، ط. الأولى؛ ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

الأمالي: لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن بن عليّ الطوسي، تحقيق وتصحيح: بهراد الجعفريّ، والأستاذ علي أكبر الغفاريّ، دار الكتب الإسلامية، ط. الأولى، طهران-إيران.

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: للشيخ ناصر مكارم الشيرازي (معاصر)، مؤسسة الأعلمي، بيروت -لبنان، ط. الأولى؛ ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

الكافي: لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني المتوفّى سنة: ٣٢٨/٣٢٩هـ، صححه وعلّق عليه: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، ط. الثالثة؛ طهران-إيران.

وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: للشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، المتوفّى سنة ١١٠٤هـ، تحقيق/ مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، مهر، قم، ط. الأولى؛ ١٤١٢هـ.

المحتويات

٣	مقدمة
٧	تعريف المعاد
٧	المَعَادُ في اللغة:
٧	وفي الاصطلاح:
٩	المعاد الجسماني
١٣	أسماء المعاد في القرآن الكريم
٢١	ضرورة المعاد
٢٣	حكم منكري المعاد
٢٣	متى يكون المعاد؟
٢٥	علامات يوم القيامة
٢٥	العلامات الأولى
٢٨	العلامات الثانية
٣١	الصُّور
٣٥	مقدار يوم القيامة

٣٧	الحساب
٤٠	حساب المعذورين
٤٠	مراحل الحساب
٤١	المرحلة الأولى:
٤٧	المرحلة الثانية:
٥٠	حياة البرزخ
٥٦	ضغطة القبر
٥٩	المرحلة الثالثة:
٥٩	١-ميزان الأعمال:
٦٥	٣-انطاق الجوارح
٦٦	٤-تجسّم الأعمال
٦٧	٥-الشفاعة والكوثر
٧٠	أوصاف مَنْ يستحقّ الشفاعة
٧١	٦-الصراط
٧٣	٧-الأعراف
٧٥	الجنة
٧٩	النار
٨١	هل الجنة والنار مخلوقتان؟

٨١	جنة آدم
٨٥	التوبة
٨٨	ثمرة التوبة
٩٠	الختامة
٩١	المراجع